الإسراف والمسرفون في ضوء القرآن الكريم

د. حسن بن محمد شبالة *

الخلاصة :

يهدف هذا البحث إلى معرفة أنواع الإسراف المذكورة في القرآن الكريم ودراستها دراسة موضوعية من خلال الآيات القرآنية التي تناولتها ، حيث تضمن البحث الحديث عن الإسراف والمسرفين في ضوء القرآن الكريم بأسلوب من أساليب التفسير وهو التفسير الموضوعي ، وقد بين الباحث الأسباب التي دفعته إلى الكتابة في هذا الموضوع في مقدمة البحث ، ثم مهد الباحث للبحث بتعريف الإسراف في اللغة والاصطلاح والعلاقة بينهما ، وكيف عالج القرآن الكريم مشكلة الإسراف بأساليبه المتنوعة ، وفي الفصل الأول تناول البحث أنواع الإسراف الكثيرة في ضوء القرآن الكريم ، أما في الفصل الثاني فتحدث الباحث عن المسرفين الذين ذكرهم الله في كتابه الكريم بقسميهم الكفار والمسلمين ، وكيف كانت نهايتهم بسبب إسرافهم ، أما الفصل الثالث فبين الباحث فيه أثر الإسراف على الأمم والأفراد بصورة إجمالية ثم تفصيلية ، وختم البحث بخاتمة موجزة بين فيها الباحث أهم النتائج التي توصل إليها من خلال البحث .

* رئيس قسم الدراسات الاسلامية – كلية الآداب – جامعة إب .

مُقَدِّمَة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا و من سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له و من يضلل فلا هادى له و اشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمد عبد ه ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين و سلم تسليماً كثيراً.

أما بعد :

فإن من أعظم نعم الله على عباده المؤمنين أن أبقى لهم القرآن الكريم وحفظه من التبديل والتحريف فلا تلحقه زياد ة و لا يعتريه نقص فهو محفوظ بالصدور كما هو محفوظ في السطور ﴿إنّا نحن نزلنا الذكر وإنّا له لحافظون ﴾ [الحجر :٩] فهو محفوظ بحفظ الله ﴿ وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ﴾ [فصلت: ٤١،٤٢] ولما كان من أجل العلوم وأعظمها قدراً وأرفعها منزلةً – العلم بكتاب الله تعالى وتدبر معانيه وتفهم مدلولاته رأيت أن يكون عنوان هذه البحث هو: (الإسراف والمسرفون في ضوء القرآن الكريم) نظراً لما له من صلة وثيقة بتفسير كتاب الله تعالى بنوع من أنواع التفاسير؛ ألا وهو التفسير الموضوعي الذي أصبح نوعاً مستقلاً من أنواع التفسير .

التمهيد

"معنى الإسراف في اللغة والاصطلاح والعلاقة بينهما"

أولاً: معنى الإسراف في اللغة :

قال في اللسان :السَرفَ و الإسراف :مجاوزة القصد – أسَرفَ في مالهِ عَجَل من غير قصد.
و السرف : الخطأ. وأخطأ الشيء وضعه في غير حقه .
وَسَرفَ الماء ما ذهب منه في غير سقى ولا نفعٍ .
و السَرَف: الإغفال . وسَرف القوم جاوزهم .
والسَرف الجاهلُ . ورجلٌ سَرِفُ الفؤاد – مخطئ الفؤاد غافله .
أسرفَ الرجل إذا جاز الحدَّ – وأسرَفَ إذا أخطأ أو غفل أو جهل.(١)
و قال في الصحاح :السَرَف ضد القصد – والسَرَف الإغفال والخطاء وقد سَرِفتُ الشيء –بالكسر – إذا أغفلته وجهلتهُ.
والإسراف في النفقة التبذير.(٢)
وقال في المصباح :أسَرفَ إسرافاً جاز القصد – و السرف – بفتحتين اسم منه و طلبتهم فسرِفتهم- بمعنى – أخطأت- أو جهلت.(٣)

و قال في تاج العروس:والسَرَف – محركه – اللهجُ بالشئ –والإسراف. أيضا الإكثار من الذنوب ورجل سَرِفُ العقل: أي قليله و قيل: فاسد ه والمسرفُ – الكافرُ (٤)

ثانيا: معنى الإسراف في الاصطلاح :

قال الجرجاني :

١- الإسراف هو إنفاق المال الكثير في الغرض الخسيس.

٢- الإسراف : تجاوز الحد في النفقة وقيل أن يأكل الرجلُ مما يحل له أو أن يأكل مما يحل فوق الإعتدال ومقدار الحاجة.

وقيل الإسراف : تجاوز في الكمية فهو جهل بمقادير الحقوق .

٣- الإسراف : صرف الشيء فيما ينبغي زائداً على مالا ينبغي .(٥)

٤- قال ابن حجر: الإسراف مجاوزة الحدّ في كل فعلٍ أو قولٍ وهو في الإنفاق أشهر.(٦)

قلت : ويدخل في معنى الإسراف التبذير وإن كان هناك فارقاً يسيراً لكن ربما أطلق أحدهما – فدخل فيه الآخر .

" فالإسراف صرف الشيء فيما ينبغي – زائداً على ما ينبغي – بخلاف التبذير فإنه صرف الشيء فيما لا ينبغي . فالإسراف تجاوز في الكمية فهو جهل بمقادير الحقوق – والتبذير تجاوز في موضع الحق فهو جهل بمواقعها يرشدك إلى هذا قوله تعالى في تعليل الإسراف :

﴿ انه لا يحب المسرفين ﴾ [الأنعام أية : ١٤١] وفي تعليل التبذير ﴿ إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين ﴾ [الإسراء آية :٢٧] فإن تعليل الثاني فوق الأول.(٧)

فالإسراف والتبذير يشتركان في تعريف المال بجهل ويختلفان في أن الإسراف جهل بمقادير الحقوق – والتبذيرُ جهلٌ بمواضع الحقوق . ويُسمى التبذيرُ بهذا الاسم لأنه تفريقٌ للمال كما يُفَرَقُ البذر كيفما كان من غير تعمدٍ لموافقة الموضع.(٨)

وبعض أهل العلم يرى أن التبذير : تفريق المال على وجه الإسراف. (٩) ونُقل عن الشافعي أن التبذير إنفاق المال في غير حقه ، ولا تبذير في عمل الخير. (١٠) ومن هذا يتضح أن الإسراف والتبذير يتفقان في معنى الإنفاق في غير طاعة .

ثالثا : العلاقة بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي :-

لما كان الإسراف في اللغة من معانيه : الجهل – وأخطأ في الشيء وضعه في غير حقهِ – فإن هذا المعنى ظاهراً أيضاً في الإسراف في المعنى الاصطلاحي وكذا في معنى التبذير إذ هما جهل في مقادير الحقوق أو جهل في مواضع الحقوق .

وكذا من الإسراف مجاوزة الحد – وهو ضدُ القصد في المعنى اللغوي فهو كذلك في المعنى الاصطلاحي .

وكذا الذي يطلق عليه في الاصطلاح إسرَاف – يدخله معنى الخطأ والجهل والغفلة من فاعل هذا الأمر المسرف فيه . وإذا ذهب المال أو الوقت أو غيرهما فيما لا فائدة فيه فهو شبيه بسرف الماء الذي يذهب في غير سقي ولا نفع .

وكل المعاني الشرعية في الإسراف تعود إلى أصله اللغوي وهو مجازة الحد .

الفصل الأول

الإسراف في ضوء القرآن الكريم

المبحث الأول : اهتمام القرآن وعنايته بمعالجة هذا الموضوع

قدم الإسلام للبشرية منهجاً متكاملا و تصوراً واضحاً عن طبيعة التصرف في جميع شئون الحياة و بيّن بشكل واضح حدود الحلال والحرام فيها قال تعالى ﴿ ما فرطنا في الكتاب من شيء ﴾ [الأنعام آية : ٣٨] وموضوع الإسراف لما كان يشمل كل تجاوز في الأمر أهتم القرآن الكريم بالحديث عنه ومعالجته فقد ذكر الله في القرآن الكريم الإسراف و مشتقاته في اثنين وعشرين آيه من الكتاب الكريم منها ستة عشر آيه في السور المكية و ست آيات في السور المدنية.

ومن هذا يتضح لنا جليا خطر الإسراف المقصود في هذه الآيات خاصة المكية منها — فإنهُ مع أن المتبادر إلي الإذهان أن الإسراف أمر يسير لكن الله جعله من الأمور التي أهتم بها في الفترة المكية التي كان لها خصائص معينه.

— مثل التركيز على الوحدانية و البعث والنشور و غير ذلك من أصول الدين وفي ضمن هذا وذاك حذر القرآن من الإسراف وقص علينا كثيرا من أخبار المسرفين.

وعلى هذا فالإسراف من الكفر والمعاصي وصفة من صفات الكافرين ، قال تعالى:﴿وكذلك نجزى من أسرف و لم يؤمن بآيات ربه﴾[طه آية : ١٢٧] وهو كذلك صفة من صفات الجبارين الذين يملكون بأيديهم السلطة والمال، قال تعالى : ﴿ وإن فرعون لعالٍ في الأرض و إنه لمن المسرفين﴾ [يونس آية:٨٣] وقال تعالى : ﴿ ولا تطيعوا أمر المسرفين الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون ﴾ [الشعراء آية : ١٥١-١٥٢] فالفساد إنما يحصل من كل مسرف، وأبشع صور الإسراف عندما يكون بالكفر بالله ومعصيته والتعدي علي حدوده .

من خلال ما سبق يتبين لنا اهتمام القرآن الكريم بهذا الأمر الخطير، وهذا يدفعنا إلى تحليل الأسلوب الذي عالج القرآن به موضوع الإسراف من خلال ما يلي .

معالجة القرآن للإسراف:

سبق اهتمام القرآن بهذا الأمر الخطير و تردد ذكره في كثير من الآيات المكية والمدنية، وهذا يدفعنا إلى تحليل الأسلوب الذي عالج القرآن به هذا الموضوع الخطي فنقول:

١- نري أن اكثر الآيات القرآنية التي ذكرت الإسراف و المسرفين تصور لنا جانباً كبيراً من أحوال الأمم الماضية – لتذكرنا بان الإسراف سببٌ من أسباب الهلاك و العذاب – لكي نعتبر و نتعظ بحالهم و أن لا نسلك مسلكهم و إلا أصابنا مثل ما أصابهم – وهذا أسلوب عظيم من أساليب القرآن الكريم وهو" القصص القرآني " عن الأمم الهالكة و سبب هلاكها – وكثيرا ما ذيل القصة بقوله تعالى: ﴿ إن في ذلك لعبرةً لمن يخشى ﴾ [النازعات آية:٢٦] و قوله: ﴿ لقد كان في قصصهم عبرةٌ لأولي الألباب ﴾ [يوسف آية: ١١١] وقوله تعالى: ﴿إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار ﴾ [آل عمران آية:١٣ ، النور آية:٤٤] وقوله: ﴿ فاعتبروا يا أولي الأبصار ﴾ [الحشر آية:٢] فحينما يقص القرآن علينا خبر المسرفين في الأمم الماضية وما أصابهم من هلاك إنما يعظنا بذلك ويحذرنا من فعلهم .

٢- واستعمل القرآن الكريم أسلوبا آخر في عرض موضوع الإسراف وهو أن يذكر الله حالة المسرف في الآخرة وما يواجهه من أهوال وعذاب ويصف حاله فيقول ﴿ ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى * قال رب لما حشرتني أعمي وقد كنت بصيرا * قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى * وكذلك نجزي من أسرف و لم يؤمن بآيات ربه * ولعذاب الآخرة أشد وأبقى﴾ [طه آية : ١٢٤-١٢٧] ويحكم الله تعالي على المسرف الذي لم يتب و لم يرجعُ إلي ربه ويقلع عن إسرافه بقوله: ﴿ وأن المسرفين هم أصحاب النار ﴾ [غافر آية :٤٣].

٣- وبأسلوب آخر يعرض القرآن المسرفين ويُلحق بهم كل فساد في الأرض وينفى عنهم كل صلاح ﴿ولا تطيعوا أمر المسرفين الذين يُفسدون في الأرض ولا يُصلحون ﴾ [الشعراء آية: ١٥١ – ١٥٢] وينهى الأمة عن اتباعهم وطاعتهم – لان من كانت هذه صفته فإن الهلاك والدمار و الويل نهايته . قال تعالى : ﴿ثم صدقناهم الوعد فأنجيناهم ومن نشاء وأهلكنا المسرفين﴾ [الأنبياء آية: ٩] " تلك هي سنة الله تعالى في اختيار الرسل ومثلها سنة في إنجائهم ومن معهم وإهلاك المسرفين الظالمين المكذبين.وهذه السنة يخوف الله بها المشركين الذين كانوا يواجهون الرسول ﷺ بالإسراف عليه وتكذيبه وإيذائه والمؤمنين ". (١١)

٤- مع هذه الأساليب التي فيها ترهيب من حال المسرفين نرى القرآن الكريم دعي هذا المسرف إلى التوبة و الرجوع ورغبهُ فيها ونهاه أن يقنط من رحمة الله تعالى وأن توبته سهلة و ميسرة ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً انة هو الغفور الرحيم ﴾ [الزمر آية: ٣٥] " إنها الرحمة الواسعة التي تسع كل معصية كائنة ما كانت و إنها دعوة للإنابة – دعوة للعصاة المسرفين الشاردين في تيه الضلال دعوتهم إلى الأمل والرجاء و الثقة بعفوا الله – ان الله رحيم بعباده ...وليس بينه [أي العاصي] وقد أسرف في المعصية وولج في الذنب وأبق عن الحمى وشرد عن الطريق ...إلا الإنابة و العودة إلى فيئ الطاعة و ظِلال الإستسلام "(١٢) . ومع نداء الرحمة هذا إلا أننا نجد أن القرآن يُذيل هذه الآية، بحالة يصف بها من لم يستجب لهذا النداء و استمر على إسرافه و غيه يقول تعالى ﴿ و يوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة ﴾ [الزمر آية: ٦٠] هذا هو فريق المتكبرين ، وهذا هو مصيرهم يوم القيامة " الذين دعوا إلى الله وظلت الدعوة قائمة حتى بعد الإسراف فلم يلبوا هاتف النجاة فهم اليوم في خزي تسود له الوجوه..." (١٣)

٥- ويتنوع أسلوب عرض هذا الداء الخطير وتحذير الأمه منه فبعد أن ينهى عن التبـــذير . يصف المبذرين بأنهم إخوان الشياطين قال تعالى﴿ ولا تبذر تبذيرا إن المبـــذرين كـــانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا ﴾ [الإسراء آية:٢٦-٢٧] "هذه الجملـــة تعليل للنهي عن التبذير والمراد بالأخوة المماثلة التامة وتجنب مماثلة الشيطان ولو في خصلة واحدة من خصاله فكيف فيما هو أعم من ذلك كما تدل عليـــه إطـــلاق المماثلـــة " والإسراف في الإنفاق من عمل الشيطان ، فإذا فعله أحدٌ من بني آدم فقد أطاع الشيطان واقتدى به ﴿ وكان الشيطان لربه كفورا ﴾ وفي هذه الآية تسجيل على المبذرين بمماثلـــة الشياطين — ثم التسجيل على جنس الشيطان بأنه كفور ، فاقتضى ذلك أن المبذرَ مماثـــل للشيطان وكل مماثل للشيطان له حكم الشيطان—وكل شيطان كفور فالمبذر كفور".[١٤]

قلت : لعل قصد الشوكاني — كفران النعمة — في وصف المبذر بالكفر — خاصة إذا كـــان هذا المبذر من المسلمين - لان المسلم لا يكفر بكل ذنب ارتكبه ما لم يستحله — كما هو المعلوم من عقيدة أهل السنة والجماعة .

٦-ثم ياتي النهي الصريح في اللفظ قال تعالى: ﴿ ولا تسرفوا ﴾ [الأعراف آية:٣١ ، الأنعام آية :١٤١] وهذا النهي عن الإسراف في كل شيء — ثم ذيل هذا النهي بقولـــه تعـــالى: ﴿ إنه لا يحب المسرفين ﴾ [الأعراف آية:٣١ ، الأنعام آية :١٤١] " فتبين أن الإسراف من الأعمال التي لا يحبها — فهو من الأخلاق التي يلزم الانتهاء عنها ونفي المحبة مختلـــف المراتب — فنعلم أن نفي المحبة يشتد بمقدار قوة الإسراف ".[١٥]

٧-ويذكر الله سبحانه وتعالى صفات المؤمنين فيصفهم بالعبودية له سبحانه وتعالى ويخصهم دون غيرهم بإضافتهم إليه — فيقول: ﴿ وعباد الرحمن ﴾[الفرقان آية :٦٣] ويذكر لهـــم أوصافا عظيمة . وضمن هذه الأوصاف يصفهم بقوله تعالى: ﴿ والذين إذا أنفقـــوا و لم يسرفوا و لم يقتروا وكان بين ذلك قواما ﴾ [الفرقان آية : ٦٧] وهذا يـــدلنا علـــى أن الإسراف ليس من أخلاق المؤمنين عباد الرحمن . وهذا أسلوب عجيب في التحذير مـــن

الإسراف - وكأن المعنى والله أعلم — من أراد من المؤمنين الموصوفين بهذا الوصف - فليبتعد عنَ الإسراف والاخلاق المذمومة المذكورة في الآية ويحرص على التحلي بالاخلاق الفاضلة المطلوبة فيها.

٨-ويبلغ الاسلوب ذروته في التحذير من الإسراف ،فيذكر لنا حال الربانيين ﴿وكأ ين من بني قاتل معه ربيون كثيٌر ﴾ [آل عمران آية : ١٤٦] فيصفهم سبحانه بأنهم ربيون . ومجاهدون في سبيل الله . وصابرون في الجهاد . ومع ذلك يدعون الله تعالى أن يغفر لهم ذنوبهم وإسرافهم في أنفسهم ." قالوا ذلك مع كونهم ربانيين هضماً لأنفسهم [١٦] مما يدلنا على أن الإسراف وإن كان قليلا إلا أنه خطير وله أثر في تأخير النصر على من وجد فيهم قول الله : ﴿ وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما إستكانوا والله يحب الصابرين * وما كان قولهم الا أن قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت اقدامنا وأنصرنا على القوم الكافرين * فآتهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة * والله يحب المحسنين﴾ [آل عمران آية : ١٤٦ — ١٤٨] فمن خلص نفسه من الإسراف والذنوب الاخرى —فقد أحسن و الله يحب المحسنين.

المبحث الثاني : أنواع الإسراف في ضوء القرآن الكريم

تحدث القرآن الكريم عن الإسراف بشتى صوره ومعانيه و إن كانت هذه الصور الأنواع ترجع كلها إلى معانى متقاربه أصلها : المعنى اللغوى وهو التجاوز في الحد فإنه من خلال دراسة الآيات القرآنية في هذا الموضوع وفي ضوئها يتضح لنا كل نوع من أنواع الإسراف التي تحدث عنها القرآن الكريم .

النوع الأول : الإسراف في الكفر وتكذيب رسل الله والتمادي في الضلال و الغى و الإشراك بالله تعالى ومنه قوله تعالى : ﴿ و إن فرعون لعالٍ في الأرض و إنه لمن المسرفين﴾ [يونس : ٨٣]" والإسراف بمجاوزة الحد في المعاصى كالكفر ولذلك يكثر في القرآن إطلاق المسرفين على الكفار "[١٧] وقد قص الله علينا من طغيان فرعون وجبروته وكفره بالله تعالى وادعاء الألوهية كما قال تعالى عنه : ﴿ فقال أنا ربكم الأعلى﴾ [النازعات : ٢٤] وقال تعالى: ﴿وقال فرعون يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيري ﴾ [القصص: ٣٨] ومع هذا كله فإنه كان عاليا في الأرض – متكبرا قاهرا لمن يخالفه كثير التعذيب كثير القتل – متجاوز الحد في الكفر و القتل والصلب و تنويع العقوبات . ﴿ قال سنقتل أبناءهم و نستحيي نساءهم وإنا فوقهم قاهرون ﴾ [الأعراف : ١٢٧] " كما أنه كان من المسرفين المتجاوزين الحد في الظلم و الفساد بالقتل وسفك الدماء وغمط الحق واحتقار الخلق و من ثم ادعى الربوبية واسترق أسباط الأنبياء " [١٨] وكذلك قول الله : ﴿ وأن المسرفين هم أصحاب النار ﴾ [غافر : ٤٣] قال قتادة : إنهم المشركون . فإن الإشراك إسراف في الضلالة ، وعن عكرمة أنهم الجبّارون المتكبرون "[١٩] قال ابن سيرين إن المشركين بالله المتعدين حدوده هم أهل الجحيم خالدين فيها ابداً.[٢٠]

وقوله تعالى: ﴿ ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى –قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيرا . قال كذلك اتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى وكذلك نجزى من أسرف و لم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وابقى ﴾[طه ١٢٤-١٢٧] " لقد أسرف من أعرض عن ذكر ربه فألقى بالهدى من بين يديه وهو أنفس

ثراءاً وذكراً – وأسرف في إنفاق بصره في غير ما خُلق له فلم يبصر من آيات الله شيئا- فلا جرم أن يعيش معيشة ضنكا ويحشر يوم القيامة أعمى ".[٢١]

هذا الجزاء الأليم كان لعلة إسرافه على نفسه في الطغيان والمعاصي والتكذيب بآيات الله سبحانه وتعالى – ونسيانه لآيات الله تعالى تركها وعدم الإيمان بها . " وكل نسيان من الإنسان ذمه الله تعالى به فهو ما كان أصله عن تعمد ..وتركه على طريق الإهانة . وإذا نسب إلى الله فهو تركه إياهم إستهانة بهم ومجازاة لما تركوه ".[٢٢] وقوله تعالى: ﴿ كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب ﴾ [غافر: ٣٤] أي مشرك مرتاب في وحدانية الله تعالى يجادل في آيات الله بغير علم – متكبر جبار ، ونحوه قوله تعالى: ﴿ إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب ﴾ [غافر :٢٨] أي مسرف في عناده – كذاب في ادعائه[٢٣] وهاتان الآيتان تتحدثان عن فرعون وجبروته وطغيانه وقد ذكر شيء من اسرافه قريباً وهذا النوع هو أكثر الأنواع وروداً في القرآن الكريم وخاصة في القرآن المكي – وهو أقبحها وأشنعها ويتحدث القرآن الكريم عن قريش وكفرها وتكذيبها برسول الله صلى الله عليه وسلم ويُهددها فيقول ﴿ أفنضربُ عنكم الذكر صفحاً إن كنتم قوماً مسرفين ﴾ [الزخرف:٥] .

وهذا الإسراف القبيح في إعراضهم عن الإيمان بمحمد صلى الله عليه وسلم واستخفافهم بالنعم العظيمة التي أعطاهم الله إياها . ومنها إنزال القرآن الكريم بلغتهم " إنا جعلناه قرآنا عربياً لعلكم تعقلون " [الزخرف /٣] وبهذا التهديد من الله تعالى والتعريض بهم وبإسرافهم قد يهملهم ويتركهم جزاء هذا الإسراف " وإنه لتهديد مخيف أن يلوح لهم ذلك بالإهمال من حسابه ورعايته جزاء إسرافهم "[٢٤]

النوع الثاني : " مجاوزة الحلال إلى الحرام والخروج عما يجب[٢٥] .وهذا النوع من الإسراف ذكره الله سبحانه وتعالى في كتابه عن :-

١) قوم لوط : قال تعالى ﴿ أئنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون﴾ [الأعراف آية:٨١] فهم " مجازون الحلال إلى الحرام . يعني فروج النساء إلى أدبار الرجال . أضرب عن الانكار المتقدم إلىالإخبار بما هم عليه من الإسراف الذي تسبب عنه إتيان هذا الفاحشة الفظيعة "[٢٦] فقد عدلوا عن النساء وما خلق الله لهم

منهن إلى الرجال وهو إسراف منهم وجهل لأنه وضع الشيء في غير محله .[٢٧] " والإسراف الذي يصفهم به لوط هو الإسراف في تجاوز منهج الله المتمثل في الفطرة السوية . الإسراف في الطاقة التي وهبهم الله إياها –لأداء دورهم في امتداد البشرية . ونمو الحياة فإذا هم يريقونها ويبعثرونها في غير موضع الإخصاب فهي مجرد – شهوة –شإذة – لأن الله جعل لذة الفطرة الصادقة في تحقيق سنة الله الطبيعية ."[٢٨] فهؤلاء خرجوا عنها – بسب إسرافهم –وجهلهم وتعديهم ولهذا وصفهم في آية اخرى بالجهل " أئنكم لتاتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم تجهلون " [النمل /٥٥] و في آية اخرى ﴿ أتأتون الذكران من العالمين , و تذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم , بل انتم قوم عادون ﴾ [الشعراء : ١٦٥،١٦٦] فالجهل والتعدي من معاني الإسراف – ومجاوزة الحد . فهم قوم يجهلون وقوم عادون مجاوزن للحد في جميع المعاصى ومن جملتها هذه المعصية .

٢) كذلك سمى الله سبحانه وتعالى من تعد الحق إلى غيره مسرفاً فقال سبحانه ﴿ ومن قُتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطاناً فلا يسرف فى القتل ﴾ [الاسراء : ٣٣]" أي لايتجاوز ما أباحه الله له فيقتل بالواحد اثنين أو جماعة أو يمثل بالقاتل أو يعذبه "[٢٩] ولا يميل إذا قتل بالقود ولا يقتل غير قاتله" [٣٠] والإسراف في القتل يكون بتجاوز القاتل إلى سواه من لا ذنب لهم كما يقع في الثأر الجاهلي الذي يؤخذ فيه الأباء و الأخوة و الأبناء و الأقارب بغير ذنب إلا أنهم من أسرة القاتل – ويكون الإسراف كذلك بالتمثيل بالقاتل – والولي مسلط على دمه بلا مُثله ".[٣١]

النوع الثالث : تحريم الحلال[٣٢] – أو آكل الحرام – أو الأكل من الحلال فوق الحاجة[٣٣] كما في قوله تعالى: ﴿ وكلوا وأشربوا ولا تسرفوا إنه لايحب المسرفين ﴾ [الأعراف : ٣١] " و الإسراف يكون فى تجاوز الحد كما يكون في تحريم الحلال – كلاهما تجاوزا للحد هذا باعتبار وذاك بإعتبار "[٣٤] ويكون الإسراف بمجاوزة الحلال إلى الحرام[٣٥] قال ابن عباس : لا تسرفوا بتحريم ما أحل الله لكم . قال ابن زيد : لاتأكلوا حراماً فذلك الإسراف ، وقال الزجاج : لا تأكلوا من الحلال فوق الحاجة – ذكرها ابن الجوزى في تفسيره[٣٦] و مثله قوله تعالى: ﴿ ياأيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم و لا

تعتدوا ﴾ [المائدة : ٨٧] "أي لا تحرموا على أنفسكم ما أحل الله لكم من الطيبات المستلذة بأن تتعمدوا ترك التمتع بها تنسكاً وتقرباً إلى الله تعالى . ولا تعتدوا فيها بتجاوز حد الإعتدال إلى الإسراف "(٣٧)

وقوله تعالى: ﴿ ولا تأكلوها إسرافًا وبدارا ﴾ [النساء:٦] – أي حراماً(٣٨) قال سعيد بن جبير "إسرافاً " أي في غير حق – "وبداراً " خشيةً أن يبلغ الحلم فيأخذ ماله "(٣٩) – فإذا أ كل غير المعروف وهو فقير فقد تجاوز الحدَّ وكذلك الغني إذا لم يستعفف، وقوله تعالى: ﴿كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولاتسرفوا إنه لا يحب المسرفين ﴾ [الانعام : ١٤١] " فالإسراف هو الزيادة . فقيل لهم : لا تسرفوا في الأكل بزيادة على ما أحله الله لكم ولا تسرفوا في أخذ زيادة على حقكم وهو التسعة الأعشار"(٤٠) قال ابن الجوزي : الإسراف في الأكل قبل أداء الزكاة "(٤١) لكن الظاهر من سياق الآية :أن يكون عائد على الأكل , أى لا تسرفوا في الأكل لما فيه من مضرة . بالعقل و البدن . لقوله تعالى ﴿ كلوا و اشربوا ولا تسرفوا﴾ [الأعراف:٣١] "(٤٢) وقد جاء في صحيح البخارى تعليقا – جازما- عن ابن عباس – قال " كُل ما شئت وألبس ما شئت ما أخطائك أثنتان –سرفٌ – و مخيلةٌ "و قال أيضاً وقال ﷺ " كلوا و أشربوا و ألبسوا وتصدقوا في غير إسراف و لا مخيلةٍ"(٤٣)علقه البخاري

قلت : وقد أسند ابن جرير الطبري قول ابن عباس و نقله عنه ابن كثير بسنده ثم قال عنه إسناده صحيح(٤٤)

وقد روى الحديث الثاني – ابن ماجة (٤٥) و الحاكم(٤٦) و النسائي (٤٧) و احمد(٤٨) في المسند من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده – عن رسول الله ﷺ قال: " كلوا و اشربوا والبسوا و تصدقوا في غير إسراف و لا مخيلة فإن الله يحب أن يري نعمته علي عبده"(٤٩)

قال ابن حجر " ووجه الحصر في الإسراف و المخيلة أنَّ الممنوع من تنأوله – أكلاً و لبساً وغيرهما إما لمعنىً فيه و هو مجاوزة الحد – وهو الإسراف - و أما للتعبد كالحرير وإن لم يثبت علة النهى عنه – وهو الراجح – و مجاوزة الحد تتنأول مخالفة ما ورد به الشرع فيدخل

في الحرام –وقد يستلزم الإسراف الكبر وهو المخيلةُ – قال الموفق عبد اللطيف البغدادي :" هذا الحديث جامع لفضائل تدبير الإنسان نفسه وفيه تدبير مصالح النفس والجسد في الدنيا و الآخرة – فإن السرف في كل شيء يضر بالجسد و يضر بالمعيشة فيؤدى إلى الإتلاف و يضر بالنفس إذا كانت تابعة للجسد في أكثر الأحوال – والمخيلةُ تَضُر بالنفس حيث تكسبُها العجبُ وتضر بالآخرة حيث يَكسِبُ الإثم و بالدنيا حيث تكسبُ المقتُ من الناس"[٥٠]

النوع الرابع : مجاوزة الحد في الإنفاق ومجاوزة الحدَّ في الإنفاق يمكن تقسيمه الي قسمين :

الأول : مجاوزة الحدِّ في الإنفاق في المباحات

الثاني: الإنفاق في المعصية إذ هو تجاوز للحِّد أيضاً .

القسم الأول : مجاوزة الحد في الإنفاق في المباحات : قال تعالى ﴿ والَّذين إذا أنفقوا لم يسرفوا و لم يقتروا وكان بين ذلك قواما﴾ [الفرقان : ٦٧] ويكون الحد في الإنفاق [٥١] والإسراف في النفقةِ الذي عناه الله في الموضوع ما جاوز الحد الذي أباحه الله لعباده إلى ما فوقه. والإقتار ما قصر عما أمر الله بهِ والقوام بين ذلك.[٥٢].

وأعلم أن أظهر الأقوال في هذه الآية الكريمة أن الله يمدح عباده الصالحين بتوسطهم في الإنفاق فلا يجاوز ن الحد بالإسراف في الإنفاق و لا يقترون – أي – و لا يضيقون فيخلون بإنفاق القدر اللازم[٥٣] والإسراف وضده الإقتار مذمومان والاستواء هو التوسط ولذلك قيل دين الله بين القصور والغلو ومثل هذه الآية قوله تعالى ﴿ ولاتجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولاتبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا ﴾ [الإسراء:٢٩] فالتوازن هو القاعدة الكبرى في المنهج الإسلامي والغلو كالتفريط يخل بالتوازن والتعبير هنا يجري على طريقة التصوير فيرسم البخل يداً مغلولةً إلى العنق ويرسم الإسراف يداً مبسوطة كل البسط لاتمسك شيئاً ويرسم نهاية البخل والإسراف قعدة كقعدة الملوم المحسور والحسير في اللغة[٥٤] الدابة تعجز عن السير ضعفا وعجزاً . فكذلك البخيل يجبره بخله فيعف وكذلك المسرف

ينتهي به سرفه إلى وقفة الحسير – ملوما في الحالتين على البخل والسرف وخير الأمور الوسط.[٥٥]

القسم الثاني: قال سفيان الثوري : ماأنفقت في غير طاعة لله فهو سرف وإن كان قليلا[٥٦] وقد فسر بعض أهل العلم الآية السابقة ﴿ والذين إذا انفقوا لم يسرفوا ....﴾ إن الإسراف هنا : الإنفاق في معصية الله تعالى . وإن قل والإقتار منع حق الله تعالى – قاله ابن عباس ومجاهد وابن جريج. و آخرون[٥٧] وذكره في الكشاف[٥٨] وفي أحكام القرآن[٥٩] وقد سمى القرآن هذا النوع تبذيراً ، قال تعالى: ﴿ ولاتبذر تبذيرا ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا ﴾ [الإسراء :٢٦،٢٧]

والتبذير إنفاق المال في غير حق – وإن كان يسيراً –قال الشافعي : التبذير إنفاق المال في غير حقه ولا تبذير في الخير – قال القرطبي بعد حكايته قول الشافعي هذا هو قول الجمهور.(٦٠)

قال أشهب عن مالك : التبذير هو أخذ المال من غير حقه – ووضعه في غير حقه وهو الإسراف وهو حرام لقوله تعالى﴿ إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين ﴾ فإن هذا تعليل للنهى عن التبذير .[٦١]

فليست هي الكثرة والقلة في الإنفاق إنما هو موضع الإنفاق ومن ثم كان المبذرون إخوان الشياطين , لأنهم ينفقون في الباطل وينفقون في الشر وينفقون في المعصية فهم رفقاء الشياطين وصاحبهم ﴿ وكان الشيطان لربه كفورا﴾ ولا يؤدى حق النعمة كذلك إخوانه المبذرون لا يؤدون حق النعمة و حقها أن ينفقوها في الطاعات والحقوق غير متجاوزين ولا مبذرين.[٦٢] وقيل إن بعضهم أنفق نفقه في خير فأكثر فقال له صاحبه لا خير في السرف فقال لا سرف في الخير.[٦٣]

النوع الخامس : الإفراط في الذنوب والمعاصي[٦٤] و الكبائر[٦٥]: ومنه قوله تعالى : ﴿ قل يا عبادي الذين أسرفوا علي أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ﴾ [الزمر :٥٣] والإسراف أيضا الإكثار من الذنوب والخطايا واحتقار الاوزار والآ ثام .[٦٦] " قل يا أيها الرسول للمؤمنين الذين أسرفوا على أنفسهم وتجاوزوا حدود الله –فأرتكبوا محارمه وتركوا

أوامره — لا تيأسوا من مغفرة الله فهو يغفر الذنوب جميعاً لمن تاب ولجأ إلى جنابه وإن كَثرة وكانت كزبد البحر "(٦٧)

وقال تعالى ﴿ وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا أغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا و ثبت أقدامنا وأنصرنا على القوم الكافرين ﴾[آل عمران : ١٤٧] "

قال ابن عباس : إسرافنا خطايانا .

و عن الضحاك : الخطايا: الكبائر — وعن مجاهد : خطايانا وظلمنا انفسنا"(٦٨)

" والظاهر أن الذنوب كل ما يسمى ذنباً من صغيرة وكبيرة — والإسراف ما فيه مجاوزة للحد فهو من عطف الخاص على العام "(٦٩)

وهذا التفريط في المعاصى — يطلق عليه إسراف — لانه مجاوزة للحد وفى الصحيحين(٧٠) عن أبى موسى الاشعرى أن رسول الله ﷺ كان يدعوا بهذا الدعاء "اللهم اغفر لى خطيتى وجهلى وإسرافى فى أمرى وما أنت أعلم به منى "قال ابن حجر " وقوله إسرافى فى امرى " الإسراف مجاوزة الحد فى كل شيئ- وقال الكرمانى "يحتمل أنه متعلقٌ بالإسراف فقط ويُحتمل أنه متعلق بجميع ما ذكره"(٧١)
قال النووى " قيل : قاله تواضعاً وعد على نفسه فوات الكمال ذنوباً —وقيل : أراد ما كان عن سهوٍ وقيل : ما كان قبل النبوة ، وعلى كل حال فهو ﷺ مغفورٌ له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فدعاؤه بهذا وبغيره تواضعاً لأن الدعاء عبادةٌ"(٧٢)

الفصل الثاني

المسرفون وحديث القرآن عنها

المبحث الأول : المسرفون من الكفار وحديث القرآن عنهم ذكر الله سبحانه وتعالى في كتابه أصنافاً شتى من المسرفين من الأمم الكافرة والأصل أن كل كافر مسرف –لأنه تجاوز حدود الله تعالى – ولهذا يكثر في القرآن إطلاق المسرفين على الكفار(٧٣) وسإذكر أولاً الآيات التي تحكم على الكافر بالإسراف ثم أتبعها بالآيات الواردة في تخصيص أصنافٍ معينهٍ بهذا الوصف – و السرُ في ذلك فأقول :

الصنف الأول : الكافر عموماً :

وهذا الصنف ذكره الله تعالى في القرآن في آية سورة طه قال تعالى: ﴿ وكذلك نجزى من أسرف و لم يؤمن بآيات ربه ولعذاب الآخرة أشد وابقى ﴾ [طه : ١٢٧] فهذا إسراف في الكفر والطغيان و التكذيب بآيات الله تعالى – لقد أسرف من أعرض عن ذكر ربه – أسرف هنا بمعنى أشرك[٧٤] " وإنما سُمى الكافرُ مسرفاً لأنه أتلفَ نفسه وضيعها في عبادة الاصنام وأتلف ماله و ضيعه في البحائر و السوائب . وما كانوا يُنفقون على الاصنام وخدامها "[٧٥]وقال سبحانه وتعالى: ﴿ إن الله لايهدى من هو مسرف كذاب ﴾ [غافر : ٢٨] وقال: ﴿كذلك يضل الله من هو مسرف مرتاب﴾ [غافر : ٣٤] أي مشرك . شاك في التوحيد وصدق الرسل .[٧٦] فهذه الآيات – تُبين أن الكافر و المشرك كلاهما مسرفٌ – لتجاوزهما حدود الله تعالى وكل من لم يؤمن بالله

ويتبع رسله فهو مُسرفٌ وقد حكم الله عليهم بذلك وأخبر أنه أهلكهم ، قال تعالى : ﴿ ثمّ صَدقْناهم الوعد فإنجيناهم ومن نشاء وأهلكنا المسرفين ﴾[الأنبياء : ٩] " والمراد بالمسرفين المجاوزين اللحد في الكفر والمعاصي و هم المشركون "[٧٧] فإن الله تعالى أرسل رسله من البشر و صَدَقَهم وعده – فنصرهم على المكذبين و أنجاهم ومن آمن معهم و

أهلك الذين أسرفوا على أنفسهم بتكذيب رسل الله .[٧٨] و لهذا جاء بعد هذه الآية خبر إهلاك الكفار المسرفين في كفرهم و عصيانهم .

قال تعالى: ﴿ وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة و انشأنا بعدها قوماً آخرين ﴾ [الأنبياء : ١١] فبين جل وعلا أنه أرسل الرسل إلى الأمم فكذبوهم و أنه وعد الرسل بأن لهم النصر ، و أهلك المسرفين وهم الكفار المكذبون للرسل .

والإسراف – بمجاوزة الحد في المعاصي كالكفر و لذلك يكثر في القرآن إطلاق المسرفين على الكفار [٧٩] قال تعالى: ﴿ وأنَّ المسرفين هم أصحاب النار ﴾ [غافر : ٤٣]

قال قتاده و ابن سيرين – وإن المشركين بالله المعتدين حدوده هم أصحاب الجحيم خالدين فيها ابداً"[٨٠] وقال تعالى: ﴿ كذلك زُين للمسرفين ما كانوا يعملون﴾ [يونس: ١٢]

فالمجاوزن الحد في الكفر و المعصية- زُين لهم هذا العمل القبيح – و المعني – كما زُين لهذا الإنسان الكافر هذا العمل القبيح من الدعاء عند البلاء فقط وترك الشكر عند الرخاء – والإعراض عن الله – زُين للمسرفين- المشركين – أعمالهم من الكفر والمعاصي كذلك ﴿ وإذا مس الإنسان الضر دعاء ربه منيبا اليه﴾ الايه [٨١] ولفظ الإنسان هاهنا لائقاً بالكافر – لأن العمل المذكور لايليق بمسلم البته.[٨٢] فأما من رزقه الله الهداية والسداد و التوفيق والرشاد فإنه مُستثنى من ذلك[٨٣]

الصنف الثاني : فرعون وقومه :

وهذا الصنف وما بعده يدخل في عموم الصنف الأول – لكونهم كفاراً إلا أن القرآن الكريم فصل في حالهم ونص علىإسرافهم لهذا سوف نتعرض للحديث عنهم بالتفصيل :

قال تعالى: ﴿ وإن فرعون لعالٍ في الأرض وأنه لمن المسرفين ﴾ [يونس: ٨٣] فهذه الآية تصف فرعون بالإسراف.وانه قاهرٌ وغالبٌ لمن تحته – بكثرة القتل و التعذيب لمن يخالفه . فكان بهذا من المجاوزين للحد في الكفر بما يفعله من القتل والصلب وبتنويع العقوبات لمن خالفه ثم ازداد إسرافاً فادعى الربوبيه – ﴿ فقال أنا ربكم الأعلىّ﴾ [النازعات:٢٤] وقال ﴿ ماعلمت لكم من إله غيري ﴾ [القصص:٣٨] ولشدة عُتوه وقهره – خاف منه بنو إسرائيل- وكانت هذا الآيه بياناً لسبب كون المؤمنين خائفين[٨٤] و هو جدير بأن يُخاف

منه لما حَكى الله عنه بقوله ﴿ وقال الملاء من قومِ فرعونَ أتذر موسى وقومه ليُفسدوا في الأرض ويذرك وألهتك – قال سنُقتلُ أبناءهم ونستحيي نساءهم وإنَّا فوقهم قاهرون ﴾[الأعراف :١٢٧] فكان سفَّاكاً للدماء بغير حقها يركبُ هواه في تعذيب بني إسرائيل ومن اتبعَ الأنبياء و قد وصف القرآن الكريم هذا العمل من فرعون وقومه – بالسوم :أصله الذهاب في إبتغاء الشيء و أُجريَ مجري الإبتغاء[٨٥] كما في الآية الأتيه ﴿ وإذ نجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ، يُذبحون أبناءكم و يستحيون نساء كم ﴾ [البقرة :٤٩] وفي آية آخري يُقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم﴾ [الأعراف : ١٤١] وكأن العذاب كان هو الغذاء الدائم لبني إسرائيل – لكثرة استعماله فيهم – ووصف القرآن الكريم فرعون بالطغيان – وهو تجاوز الحد في العصيان قال تعالى لموسي ﴿ إذهب الي فرعون إنه طغى ﴾ [طه :٢٤,النازعات:١٧]

ووصفه القرآن الكريم بالضلال وعدم الهداية –قال تعالى: ﴿ وأضل فرعون قومه وما هدى ﴾ [طه: ٧٩]

– فهو ضالٌ مضل . زائغ عن الطريق المستقيم – مُزيغ لغيره . ووصف القرآن الكريم فرعون وقومه

– بالظلم و الفساد – فقال تعالى: ﴿ ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا إلى فرعون وملأهم– فظلموا بها –فإنظر كيف كان عاقبة المفسدين ﴾[الأعراف : ١٠٣] والظلم . يُطلق على مجاوزة الحق – وعند أهل اللغة . وضع الشيء في غير موضعه المختص به إما بنقص أو بزيادة– أو بعدول عن وقته أو مكانه[٨٦]، وهذا كله حاصل عند فرعون وقومه – وحيث أن من معاني الإسراف – الخطأ . فقد جاء وصف فرعون وملأه به نصاً قال تعالى: ﴿ إن فرعونَ وهامانَ وجنودَهما كانوا خاطئين ﴾[القصص:٨]– بمعنى قاصدين للذنب – مسرفين فيه وأزداد فرعون طغياناً – وفسادا في الأرض فاستكبر هو و قومُه عن الإيمان بالله وتصديق رسله– بل علا في الأرض – قال تعالى: ﴿ إنَّ فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعفَ طائفةٌ منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم إنه كان من المفسدين ﴾ [القصص:٤] وهاهو يصف نفسه وملكه – فيقول: ﴿ أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون﴾ [الزخرف :٥١] وكانت هذه الحال التي وصل إليها فرعون وتبجحَ بها و أظهرها لقومه – سبباً في هلاك قومه و استخفافه بعقولهم –﴿ فاستخفَّ قومه

فأطاعوه – إنهم كانوا قوماً فاسقين﴾ [الزخرف:٥٤] وحُق لموسى بعد هذا كله ان يُسميهم قوماً مجرمين – و أنْ يدعوا عليهم بالهلاك – ليُريح الأرض من شرهم – ﴿ فدعاء ربه أن هؤلاء قومٌ مجرمون ﴾[الدخان:٢٢]-فاستجاب الله له – فاهلكهم بالغرق – ﴿ أنهم قوم مغرقون ﴾ [المؤمنون :٢٧] .(٨٧)

الصنف الثالث من المسرفين : قوم لوط* عليه السلام :

وقد وصفهم الله تعالى في كتابه –على لسان رسوله لوط عليه السلام قال تعالى: ﴿ أئنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء –بل أنتم قوم تجهلون ﴾[النمل :٥٥] و في آية ثالثة ﴿بل أنتم قوم عادون ﴾ [الشعراء :١٦٦] وهذه الألفاظ من معاني الإسراف. و" مجموع الآيات يدل على أنهم كانوا (مصابين) بفساد العقل والنفس بجمعهم بين الإسراف و العدوان والجهل فلا هم يعقلون ضرر هذه الفاحشة في الجناية على النسل و على الصحة و على الفضيلة و الآداب العامة . ولا غيرها من منكراتهم – فيجتنبونها و يجتنبون الإسراف فيها – ولاهم على شيء من الحياء و حسن الخلق يصرفهم عن ذلك"(٨٨) وهم مع هذا كله مكذبون بالله ورسله – ﴿ كذبت قوم لوطٍ بالنذر ﴾ [القمر :٣٣] غير ان هذه الفاحشةُ الفضيعة – طغت على جميع أوصافهم و أصبحت علماً لهم و كان عندهم منكرات أخرى – ذكرها القرآن الكريم منها قوله تعالى: ﴿ أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون فى ناديكم المنكر﴾ [العنكبوت:٢٩] و هذا الخطاب من لوط لقومه – يظهر أن الفساد قد أستشرى فيهم بكل ألوانه فيهم يأتون الفاحشة الشإذة التي لم يَسبقهم بها أحدٌ من العالمين – يأتون الرجال شهوة من دون النساء – وهى فاحشة شإذة قذرة – تَدُل على انحراف الفطرة وفسادها و يقطعون السبل – فينهبون المال – ويُروِّعون المارة – ويعتدون على الرجال كُرهاً – وهى خطوة أبعد من الفاحشة الأولى . إلى جانب السلب والنهب والإفساد في الأرض .و يأتون في ناديهم المنكر : يأتونه جهاراً و في شكل جماعي متفق عليه لا يخجل بعضهم من بعض – وهّي درجةٌ أبعد في الفحش وفساد الفطرة والتبجح بالرذيلة إلى حدٍ لا يرجى معه صلاح.(٨٩)

لهذا كله –سماهم لوطٌ –مفسدين .وحقاً أنهم مفسدون فأي فساد فوق هذا كله – من كفر بالله ورسله –ومجاهرة بالفواحش . و تواطؤ عليها و إهلاك للحرث و النسل ﴿ قال ربي انصرني على القوم المفسدين ﴾ [العنكبوت: ٣٠] فاستجاب الله له ونصره عليهم وأهلكهم بفسادهم في الأرض و إسرافهم فيها .(٩٠)

قال تعالى: ﴿ وأمطرنا عليهم مطراً فساء مطرُ المنذرين ﴾ [النمل : ٥٨] قاله سيد قطب رحمه الله " ولكنا نلمح في إختيار هلاك قوم لوط بالمطر . وهو الماء المحيي للميت أنه مماثل لاستخدامهم ماء الحياة – ماء النطف – في غير ما جعل له و هو أن تكون مادة حياة وخصب "(٩١)

قلت : لكن جاء في بعض الآيات أنها حجارة من سجيل منضود قال تعالى: ﴿ فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل﴾ [الحجر : ٧٤] وقال تعالى: ﴿ لنرسل عليهم حجارة من طين ﴾ [الذار يات :٣٣] بهذا يتضح أن المطر الذي أرسله الله على قوم لوط هو مطر الحجارة المذكورة وه والمستفاد من الآيات . الاخرى ولا يمنع أيضاً إرادة الجميع زيادة في التعذيب . فمطر الماء و مطر الحجارة. لكنى لم أقف على قولٍ لأحد من المفسرين غير سيد قطب يفسر المطر بمطر الماء , والله اعلم

الصنف الرابع : قوم صالح عليه السلام :

وصف القرآن الكريم – بعضاً –من قوم صالح بالمسرفين – و سبق إن قلنا إن الكافر مسرفٌ –بكفره بالله و يكذيبه لرسل الله . إلا أن طبيعة البحث أقتضت أن نخص بالذكر والدراسة الأصناف الذين –جاء لفظ الإسراف فيهم صريحاً – وهذا الصنف واحد منهم – فقد جاء في معرض حديث القرآن عن قوم صالح قوله تعالى: ﴿ ولا تطيعوا أمر المسرفين الذين يُفسدون في الأرض ولا يصلحون ﴾ [الشعراء :١٥١-١٥٢] فالدعوة إلى الكفر و الشرك ومخالفة الحق – من أعظم الفساد في الأرض ." وفسادهم هذا فسادٌ مُصمتٌ ليس معه شيء من الإصلاح – وجعل عملهم كله الإفساد في الأرض.(٩٢) والذي يظهر لي أن المراد بهؤلاء هم المذكورون في قوله تعالى: ﴿ وكان في المدينة تسعة رهط يُفسدون في الأرض ولا يُصلحون﴾ [النمل : ٤٨] فالوصف هنا مثل الوصف هناك . وهؤلاء التسعة – هم

الذين تقاسموا على قتل صالح –كما ذكر القرآن ذلك عنهم بقوله: ﴿ قالوا تقاسموا بالله لنُبَيتنهُ وأهله ثم لنقولن لوليه – ما شهدنا مهلك اهله و إنا لصادقو ن ﴾[النمل: ٤٩] فهؤلاء الرهط التسعة الذين تمخضت قلوبهم وأعمالهم للفساد لم يُعد بها مُتسع للصلاح و الإصلاح – فضاقت نفوسهم بدعوة صالح وحجته – و بيتوا فيما بينهم أمراً .ومن العجب أن يتداعوا إلى القسم بالله – مع هذا المنكر الذي يُبيتونهُ و هو قتل صالح وأهله بياتاً و هو لايدعُوهم إلا لعبادة الله وحده"[٩٣] وقد وصف الله – قوم صالح (ثمود) بالتكذيب للرسل .قال تعالى: ﴿ كذبت ثمود المرسلين﴾ [الشعراء:١٤١] " وكانوا يسكنون بين الشام و الحجاز في الحجر"[٩٤] قال تعالى: ﴿ و لقد كذبت أصحاب الحجر المرسلين ﴾[الحجر:٨٠] وهكذا فإن من كذب برسول واحد – فقد كذب بسائر رسل الله –لكن الرسالة واحدةٌ – والمرسلُ واحدٌ سبحانه ، وهلً هناك قوم أكثر إسرافاً من قوم يَرون في الرشد ضلالاً- وفي الحق عجيبة لا تكاد تتصورها , فصالح الذي كان مرجوا في قومه – لصلاحه و لرجاحة عقله وخلقه يقفُ منه قومه موقف اليائس منه المفجوع فيه – لمإذا ؟ لأنه دعاهم إلى الد ينونه لله وحد على غير ما ورثوا عن آبائهم من الد ينونه لغيره . حيث ﴿ قالوا يا صالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا أتنهانا أن نعبد ما كان يعبد آباؤنا إننا لفي شك مما تدعونا اليه مريب ﴾[هود:٦٢]ولما طلبوا منه أية على صدقه – لم يؤمنوا به – فقد أعطاهم الله الناقة – معجزة على صدق رسالة صالح عليه السلام لكنهم كفروا قال تعالى﴿ وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها ﴾[الاسراء: ٥٩] " أي كفروا بها و منعوها شرابها و قتلوها "[٩٥] فبعد أن جاءتهم الآية الواضحة البينة – لم يؤمنوا – وقد أتضح الحق أمامهم و لكنهم استحبوا العمى على الهدى –قال تعالى ﴿ وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى ﴾ [فصلت: ١٧] ,

قال سيد قطب رحمه الله :- " ويظهر أن هذه إشارة إلى إهتدائهم بعد آية الناقه ثم ردَتُهم و كفرهم بعد ذلك . وإيثارهم العمى على الهدى و الضلال بعد الهدى عمىٌ أشد العمى"[٩٦] لكن الراجح أن الهداية المقصودة في الآية هي هداية الدلالة و الإرشاد – حيث تكون هذه بإرسال الرسل و إنزال الكتب و- المعجزات – وهذا كله قد حصل لقوم صالح و مع هذا كله – كذبوه و خالفوه . بل وعقروا الناقة التي جعلها الله آية وعلامة على صدق نبيهم صالح عليه السلام [٩٧]

الصنف الخامس : بنو إسرائيل :

ذكر القرآن الكريم هذا الصنف من المسرفين في قوله تعالى: ﴿ من أجل ذلك كتبنا على بني إسرائيل أنه من قتل نفساً بغير نفسٍ أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً , ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم إن كثيراً منهم بعد ذلك في الأرض المسرفون ﴾ [المائدة :٣٢] فنصت الآية في أولها على ذكر بني إسرائيل وفي أخرها جاء الضمير عائداً عليهم أيضاً ووصفت الآية بني إسرائيل ﴿ إن كثير منهم في الأرض المسرفون﴾ وهذا يعني أنه يوجد منهم قلة ليست كذلك ."مسرفون يعني: بالقتل لا ينتهون عنه – وقيل معناه : المجاوزون حد الحق "[٩٨] وقال ابن كثير رحمه الله : وهذا تقريع لهم وتوبيخ على ارتكابهم المحارم بعد علمهم بها كما كانت بنو قريظة والنظير وغيرهم من بني قينقاع ممن حول المدينة من اليهود الذين كانوا يقاتلون مع الأوس والخزرج إذا وقعت بينهم الحروب في الجاهلية ثم إذا وضعت الحرب اوزارها فَدوا من أسروه وودوا من قتلوه .[٩٩] ولهذا أنكر الله سبحانه وتعالى عليهم فعلهم هذا بقوله: ﴿وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون ، ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقاً منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان وإن يأتوكم أُسارى تفادوهم وهو محرم عليكم إخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون ﴾[البقرة : ٨٤،٨٥]

"والإسراف في كل أمر : التباعد عن حد الإعتدال مع عدم مبالاة به . والمراد مسرفون في القتل غير مبالين به – ولما كان إسرافهم في أمر القتل مستلزماً لتفريطهم في شأن الأحياء – وجوداً وعدماً وكان هو أقبح الأمرين وأفضعهما – اكتفى في ذكره في مقام التشنيع ...

وعن الكلبي : المراد بالإسراف هنا – مجاوزة حد الحق بالشرك – وقيل إن المراد ما هو أعم من الإسراف بالقتل والشرك وغيرهما "[١٠٠] والقتل عند بني إسرائيل هو أقبح الأمور بعد تكذيبهم برسولنا ﷺ . وإن المسلم ليعلم أن اليهود قد أفنوا كثيراً من الناس من غير بني

قومهم وإن المجازر التي يقوم بها اليهود اليوم في فلسطين والأراضي المحتلة تعد من أكثر المجازر الدموية البشعة في عالم اليوم .

الصنف السادس :أصحابُ القريةِ المذكورون في سورة يس :

وإنما لم أقل أصحاب أنطاكية – لأن في تسميتها بهذا الإسم خلافٌ بين المفسرين ذكره الإمام ابن كثير ورجح عدم التسمية – وذِكرُ الخلاف في المسألة يطولُ لكني سأختصره بما يلي :

١. أن أهل أنطاكية آمنوا برسل المسيح إليهم وكانت أول مدينة آمنت بالمسيح هذا المعروف عنها ، أما أهل هذه القرية فقد ذَكر تعالى عنهم أنهم كذبوا رسله ؛ وأنه أهلكهم .

٢. أن قصة أنطاكية مع الحواريين أصحاب المسيح بعد نزول التوراة ، وقد ذكر أبو سعيد الخد ري وغير واحد من السلف أن الله تبارك وتعالى بعد إنزاله التوراة لم يهلك أُمةً من الأمم عن أخرهم بعذاب يبعثه الله عليهم بل أَمَرَ المؤمنين بقتال المشركين فعلى هذا يتعينُ أن هذه القرية المذكورة في القرآن قرية أخرى غير أنطاكيه كما أطلق ذلك غير واحد من السلف أيضاً.(١٠١)

قال تعالى في سياق قصة الرسل مع أهل هذه القرية : ﴿ قالوا إنّا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب اليم قالوا طائركم معكم أئن ذُكرتم بل أنتم قوم مسرفون ﴾ [يس : ١٨،١٩] فأخبر الله سبحانه وتعالى:أنه أرسل إلى أهل هذه القرية أولاً رسولين – فكذبوهما . قال تعالى ﴿ وأضرب لهم مثلاً أصحاب القرية إذ جاءها المرسلون إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما- فعززنا بثالث ﴾ أي قويناهما برسول ثالث . وذلك لكي يدعوهم إلى عبادة الله وحده- فكذبوهم وتطيروا وتشاءموا منهم "والقول بالتشاؤم من دعوة أو وجه هو خرافةٌ من خرافات الجاهلية- والرسل يبينون لقومهم أنها خرافةٌ وأن حظهم ونصيبهم من خير أو من شر لا يأتيهم من خارج نفوسهم – إنما معهم،مرتبط بنواياهم وأعمالهم"(١٠٢) فأصحاب هذه القرية يقولون لرسلهم "إنا تطيرنا بكم " "أي لم نرَ على وجوهكم خيراً في عيشنا – قال قتادة :- يقولون إن أصابنا شرٌ فإنما هو من أجلكم . وقال مجاهد : يقولون لم يدخل مثلكم إلى قريةٍ إلا عُذِب أهلها "(١٠٣) وهذا القول – يقوله

– كل قوم لنبيهم فقد قال قوم صالح لنبيهم عليه السلام ﴿ قالوا اطيرنا بك وبمن معك قال طائركم عند الله ﴾ [النمل : ٤٧] وقال عن فرعون وقومه: ﴿ وإن تصبهم سيئةٌ يطيروا بموسى ومن معه﴾[الأعراف: ١٣١] هكذا إذا فسدت الفطرة وارتكست الافهام – يُصبحُ التطيرُ عند الفساق والمجرمين . من رسل الله – الذين اختارهم الله لحمل رسالته وتبليغها وهم الذين اصطفاهم الله من خيرة خلقه ﴿ الله أعلمُ حيث يجعلُ رسالته﴾[الانعام: ١٢٤] وقوله : ﴿ الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس ﴾ [الحج:٧٥] هذه جاهلية القرون الماضية – وتتبعها اليوم جاهلية القرن العشرين- في منهجهما – فيلُصِقُ الطغاةُ يُهدد أمن واقتصاد ذلك البلد – كما يزعم الطواغيتُ في هذا العصر.

وهذا هو الإسراف في الطغيان ولهذا قال الله راداً على هؤلاء وأمثالهم على لسان رسله ﴿ قالوا طائركم معكم ﴾ أي مردودٌ عليكم[١٠٤]﴿أئن ذكرتم بل انتم قوم مسرفون ﴾ [يس:١٩] أي من أجل أننا ذكرناكم وأمرناكم بتوحيد الله وإخلاص العبادة له قابلتمونا بهذا لكلام وتوعدتمونا – بل أنتم قوم مسرفون[١٠٥]- متجاوزون الحدود في التفكير والتقدير ومتجاوزون على الموعظة بالتهديد و الوعيد وترددون على الدعوة بالرجم والتعذيب[١٠٦] بل أنتم قومٌ مسرفون – في العصيان والضلال ومتمادون في الغي و الباطل – حيث أنكم تتشاءمون من هداة الدين – ديدنكم الإسراف و مجاوزة الحد في العصيان[١٠٧]

الصنف السابع: كفارُ قُريش

وقد نص القرآن على إسرافهم في قوله تعالى: ﴿ أفنضربُ عنكم الذكر صفحاً أن كنتم قوماً مسرفين ﴾ [الزخرف: ٥] أي مشركين[١٠٨] الصفح مصدر قولهم صَفحتُ عنه إذا أعرضت عنه – وذلك لأنك توليه صفحة وجهك و عُنُقك .و المراد بالذكر هنا القرآن الكريم .

قال الكسائى :المعني أفنضرب عنكم الذكر صفحاً فلا توعظون ولا تؤمرون .وقال مجاهد وأبو صالح والسُدي :أفنضرب عنكم العذاب ولا نعاقبكم على إسرافكم وكفركم"أن كنتم قوماً مسرفين"أي لأن كنتم قوماً منهمكين في الإسراف مصرين عليه[١٠٩] على معني

أن حالكم وإن أقتضى تخليكم وشأنكم حتى تموتوا على الكفر و الضلالة و تبقوا في العذاب الخالد- لكنا لسعة رحمتنا لا نفعلُ ذلك بل نهديكم إلى الحق بإرسال الرسول الامين و إنزال الكتاب المبين(١١٠) وحاصل معناه "أنه تعالى من لُطفه ورحمته بخلقه لا يترك دعاءهم إلى الخير و إلى الذكر الحكيم و هو القرآن الكريم وإن كانوا مسرفين معرضين عنه بل أمر به ليهتدي به من قدر هدايتهُ وتقوم الحجة على من كُتبت شقأوته.(١١١) وإعراض كفار قريش عن القرآن وسَمَاعه. وعدمُ الإيمان به كان هو سبب كفرهم وعنادهم . وقد أكثروا من الإعراض حتى بلغوا مرتبه الإسراف العظمى فيه – لهذا نرى القرآن الكريم يُركزُ على هذا الأعراض ويُوآنبهم عليه ويُوبخهم ليُدلل على حقارة صنيعهم – بقوله : ﴿ بل آتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم مُعرضون﴾ [المؤمنون :٧١] جاءهم بالقرآن الكريم الذي فيه فخرهم وشرفهم والذي يجب عليهم أن يقبلوه ويُقبلوا عليه- لكنهم عن ذكرهم معرضون بما فعلوا من الاستكبار والنكوص عن هذا الذكر المختص بهم – معرضون عنه لا يلتفتون إليه.(١١٢)

وقوله تعالى: ﴿ والذين كفروا عما أُنذروا مُعرضون﴾ [الأحقاف : ٣] فهؤلاء المشركون –لاهون عما يُراد بهم وقد أنزل الله إليهم كتاباً و هو القرآن الكريم و أرسل إليهم رسولاً وهو محمد ﷺ . وهم معرضون عن ذلك كله وسيعلمون غبَ ذلك.(١١٣) يوم القيامة الذي هم غير مؤمنين به معرضون عنه غير مستعدين لحلوله.(١١٤) وقال تعالى: ﴿وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين ﴾ [الشعراء :٥] و قوله تعالى : ﴿ ما يأتيهم من ذكر من ربهم الا استمعوه وهم يلعبون ﴾ [الأنبياء:٢] فكفار قريش – حينما جاءهم القرآن ورسولٌ كريم – أعرضوا عنه . إن إستمعوه إستمعوه وهم يلعبون- فقلوبهم ساهية لاهية –معرضة عن ذكر الله متشاغلة عن التأمل والتفهم – هذا تكذيب به فإن من أعرض عن الشيء و لم يقبله فهو مكذب به.(١١٥) بل قد صرحوا بعدم إيمانهم به ﴿ وقالوا لن نؤمن بهذا القرآن ﴾[سبأ : ٣١] وقد وصل بكفار قريش التكذيب و الإعراض عن هذا الدين إلى التحذير منه فقد حكى القرآن عنهم قولهم: ﴿ و قال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن وألغوا فيه لعلكم تَغلبون﴾ [فصلت : ٢٦] فاخبر هنا عن مشركي قريش و أنهم كذبوا القرآن " قالوا لا تسمعوا " أي لا تصغوا " و الغوا فيه" قال

ابن عباس :قال ابو جهل إذا قرأ محمد فصيحوا في وجهه حتى لا يدرى ما يقول . وقال مجاهد –المعنى "والغوا فيه "بالمكاء و التصفيق والتخليط في النطق حتى يصير لغواً[١١٦] ثم يزدادون عتوا ونفوراً –فيعذبون من آمن بهذا الذكر و أتبع الرسول فيُخرجونهم من أرضهم يُقاتلونهم – فهل بعد هذا من إسراف نعوذ بالله من الخذلان–وسرد حالهم مع المؤمنين يطول .فاكتفينا هنا بالاشارةِ– و الله المستعان.

المبحث الثاني : المسرفون من المسلمين و حديث القرآن عنهم :

إذا تتبعنا الآيات القرآنية التي تتحدث عن المسرفين من المسلمين فإننا نجد إسرافهم نوعياً – بمعنى أن المسلم قد يقع في نوعٍ واحد أو اكثر من أنواع الإسراف المذمومة – سواءً كانت في المطعم أو المشرب أو الملبس أو النفقة في المعصية – أو كثرة النفقة في المباحات –وقد يُخطئ المسلم فيقع في معصية أو كبيرة – فيطلق عليه القرآن إسم المسرف – مع ملاحظة أن هذا الوصف قد وصف به الكافر – ولكنهما يفترقان : فالكافر يضم إلى إسرافه كفرهَ بالله – وهذا من أقبح أنواع الإسراف –بخلاف المسلم فقد يقع في الإسراف لكن مع إيمانه بالله – واعترافه بخطيئة– ومن أجل إيضاح هذا النوع من المسرفين –فإننا سنُفردُ هم بهذا المبحث ونفصلُ القولَ في كل صنفٍ من أصناف هذا النوع – والله المستعان وعليه التكلان فنقول :–

المسرفون في النفقة : نهى القرآن عن الإسراف عموماً – وعن الإسراف في النفقة خصوصاً– وقد استعمل القرآن الكريم أسلوباً عجيبا في النهى عن الإسراف في الإنفاق وذلك أنه ذكر صفات المؤمنين عباد الرحمن – و جعل من صفاتهم الحميدة التي يتصفون بها عدم الإسراف في الإنفاق– وعدم الإقتار فيه قال تعالى: ﴿ والذين إذا انفقوا لم يسرفوا و لم يقتروا وكان بين ذلك قواما﴾[الفرقان : ٦٧] وكأن المعني – من أراد أن يكون في وصف هؤلاء المؤمنين الموصوفين بعبوديتهم للرحمن – فعليه أن لا يسرف في الإنفاق . و لا يقتر – بل عليه بالقوامِ وهو الوسط بين الإسراف والإقتار . و الإسراف مجاوزة الحد في النفقة . ووصفهم بالقصدِ الذي هو بين الغلوِ و التقصير[١١٧]

قال ابن الجوزي وفي معني الآية قولان [١١٨] :

الأول : أن الإسراف مجاوزة الحد في النفقة والإقتار التقصيرُ عما لا بُد منه.
الثاني : أن الإسراف : الإنفاق في معصية الله وإن قل , والإقتار مع حق الله تعالى .
قال الإمام القرطبي رحمه الله : و الصواب من القول في ذلك قول من قال أن الإسراف في النفقة الذي عناه الله في هذا الموضع : ما جاوز الحد الذي أباحه الله لعباده إلي ما فوقه والإقتار ما قصُر عما أمر الله به . والقوام بين ذلك .
و إنما قلنا إن ذلك كذلك لأن المسرف و المُقتر كذلك .و لو كان الإسراف و الإقتار مُرخصاً فيهما ما كانا مذمومين و لا كان المسرف و المقتر مذموماً – لأن ما إذن الله في فعله فغير مُستحق فاعله الذم "[١١٩] وقد رجح هذا القول الشنقيطي .[١٢٠]
إذا عرفنا ذلك فإنه يمكننا القول أنه لا يوجد من المسلمين مسرفون في هذا الأمر . ولتوضيح ذلك نذكر ما يلي :

١– المسرفون في المساكن: أصبح شأن كثير من السلمين اليوم التفنن في زخرفة البيوت والعمائر وبذل الأموال الكثيرة في سبيل تحسين منظرها – وكذلك اقتناء الاثاث الغالية وربما كانت من الحرائر– خاصة و أغلب هذه الأدوات إنما تأتي إلى بلاد المسلين من البلاد الأجنبية – فتذهب أكثر ثروات المسلمين إلى أعدائهم الذين يستعينون بمال المسلمين على استذلالهم والعدوان عليهم.
وقد جاء في صحيح الإمام مسلم عن جابر بن عبد الله ﷺ قال رسول اللهﷺ "فراش للرجل وفراش لإمرأته والثالث للضيف والرابع للشيطان "[١٢١]
"قال العلماء معناه أن ما زاد على الحاجة فإتخاذه إنما هو للمباهاه والإختيال والإلتهاء بزينة الدنيا وما كان بهذه الصفة فهو مذموم وكل مذموم يضاف إلى الشيطان لأنه يرتضيه ويوسوس به ويُحسنه ويساعد عليه"[١٢٢] وقد جاء في الحديث عن النبي ﷺ – من رواية خباب بن الأرت – عند الترمذي – قوله ﷺ "يؤجر الرجل في نفقته إلا التراب أو قال في التراب "[١٢٣] وقال الترمذي حيسن صحيح . "أي يؤجر الرجل في نفقته كلها إلا التراب "أي نفقته في البنيان الذي لم يُقصدُ به وجه الله . أو قد زاد على الحاجة "[١٢٤] قال ابن حجر ومما لاخلاف في كراهيته . مجاوزة الحد في الإنفاق على البناء زيادة على قدر الحاجة لاسيما إن أضاف إلى ذلك المبالغة في الزخرفة "[١٢٥] قلت وهذا ما هو عليه كثير من الناس

في هذه العصور التي ابتلي أهلها بزخرفة المباني وضياع الدين – إلا من رحم ربك وكان لأثر هذا الإسراف في المساكن والفرش أن أستمسك الناس بدنياهم وأنصرفوا عن طلب الآخرة – وأصابهم الجُبنُ والخوف من أن يقوموا بعمل يؤثر على هذه الدنيا الحقيرة التي عمروها وزخرفوها وهذا المعنى ظاهر في قوله تعالى: ﴿ قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها- أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين ﴾ [التوبة :٢٤] وإن حال المسلين اليوم لأصدق شاهد على ما أقول . فقد ألهتهم أعراض هذه الدنيا حتى غدوا فرقاً متناحرة لا يقام لها وزن– وهذا ما يفهم من قوله تعالى: ﴿ فتربصوا حتى يأتي الله بأمره–والله لا يهدي القوم الفاسقين ﴾ [التوبة:٢٤] وهي وعيد وتهديد – لمن فضل متاع الحياة الدنيا على طاعة الله ورسوله(١٢٦)

٢– المسرفون في اللباس: و أكثر هذا النوع من الإسراف منتشرٌ في صفوف النساء . اللاتي يتفاخرن في إقتناء أفخر الثياب والحلي و المجوهرات و ينافس بعضهن بعضاً في كثرة الملابس ويتباهين بإرتفاع أثمانهن – وهذا هو عين الإسراف والتبذير – أما الرجال: فإن إطالة الثياب وإسبالها يُعد من أنواع الإسراف المنتشر في صفوف كثير من المسلمين – إضافة إلى كثرتها وتنويعها بغير حاجة إليها أما إذا أخذنا المعنى الثاني للآية ﴿ و الذين إذا انفقوا لم يُسرفوا ﴾ [الفرقان : ٦٧] والذي ذكر ابن الجوزي سابقاً : وهو أنّ الإسراف والإنفاق في معصية الله وإن قلّ – فإننا نجد أصنافاً كثيرةً من المسرفين في هذا العصر – فالذين يلبسون الحرير من الرجال – والذين يلبسون الذهب كل هؤلاء مسرفون وإن قل ما أنفقوه في هذه الأمور

ففي حديث البراء بن عازب قال :نهانا ﷺ "عن خواتيم أو عن تختم بالذهب وشُرب بالفضة وعن المياثر وعن القَسَيَ وعن لبس الحرير و الإستبرق و الديباج "(١٢٧) قال النووي: وأما لبس الحرير والاستبرق والديباج و القسي – وهو نوع من الحرير . فكله حرام على الرجال سواءً لَبِسَه للخيلاء أو غيرها – إلا أن يلبسه للحكة فيجوز في السفر والحضر . والمياثر – جمع ميثره – وهى التي تُصنع من الحرير.(١٢٨)

٣- المسرفون في المأكل و المشرب : أخرج الله لعباده الطيبات من الرزق و أباح لهم سبحانه أن يتمتعوا بها وأمرهم أن ياكلوا منها غير مسرفين – لكننا نرى أن كثيراً من المسلمين قد أبتلوا بالإسراف في مأكلهم ومشربهم – و لم يلتزموا بما أباحه الله لهم بل تجاوزهُ إلى غيره والآية الكريمة آلاتية تبين أن الله حرم هذا الفعل قال تعالى: ﴿ وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين﴾ [الأعراف : ٣١] قال القرطبي رحمه الله :- " عن إبن عباس : أحل الله في هذه الآية الأكل والشرب ما لم يكن سَرفاً أو مخيلة و قوله تعالى "ولا تسرفوا "أي في كثرة الأكل و عنه : يكون كثرة الشراب و ذلك يثقل المعدة ويثبط الإنسان عن القيام بحق ربه والأخذ بحظه من نوافل العبادة، فإن تعدي ذلك إلى ما فوقه مما يمنعه القيام بالواجب عليه . حَرُم عليه وكان قد أسرف في مطعمه ومشربه ..([١٢٩]) ويظهر الإسراف في المأكل و المشرب بصورة واضحة من خلال المناسبات والولائم – كالزواج و العقيقه والضيافة و نحو ذلك . فإننا نرى في بعض الولائم – البذخ و التبذير الواضح – في المأكولات و المشروبات التي تفيض عن حاجة المدعوين وتُلقى أخيراً في صناديق القمامة – وقد لا تستفيد منها حتى الحيوانات فضلاً عن الفقراء و المحتاجين – في داخل البلد – وذلك لأنهم غالباً لايُدعون إليها – وفي هذا المعنى جاء في الحديث عن أبي هريرة ﷺ موقوفاً : "أنه كان يقول بئس الطعام طعام الوليمة يُدعى الاغنياء ويُترك المساكين [١٣٠] وقد يبلغ الإسراف ذروته في بعض الولائم –فيُشرب فيها المحرم – كالخمر و الدخان[١٣١] و هذا من أقبح أصناف الإسراف – والعياذ بالله.

وينبه القرآن الكريم المؤمنين إلى خطر الإسراف و يحذرهم منه فيقول سبحانه وتعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم و لا تعتدوا ﴾ [المائدة : ٨٧] " ولا تعتدوا "فيها بتجاوز حد الإعتدال إلى الإسراف الضار بالجسد كالزيادة على الشبع و الري فهو تفريطٌ أو يتجاوز الأخلاق و الآداب النفسية لجعل التمتع بلذاتها أكبر همكم أو مشاغلاً لكم عن معالى الأمور من العلوم والأعمال النافعة لكم ولأمتكم"[١٣٢] " ومن اعتداء حُدوده في الأكل و الشرب ؛ الإسراف فيهما فإنه قال: " وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنهُ لا يحب المسرفين" [الأعراف : ٣١] فمن جعل شهوة بطنه أكبر همه فهو من المسرفين ومن بالغ في الشبع وعرض معدته و أمعاءه للتخم فهو من المسرفين ومن أنفق في ذلك أكثر من

طاقته وعرض نفسه لذل الدّين أو أكل أموال الناس بالباطل فهو من المسرفين "[١٣٣] فأكل المحرم أو شربه منهيٌ عنه و إنفاق المال فيه محرم ، قال سبحانه و تعالى: ﴿ يااايها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل ﴾[النساء :٢٩] فما بالك إذا كان المال مكُتسباً من حرام كالربا والقمار والغش و نحو ذلك ثم صرفه في أكل وشرب الحرام – فالأمر أشد حُرمة و خطراً على صاحبه – نسأل الله السلامة و العافية.

٤– المسرفون من أولياء اليتامى وغيرهم: و هم الذين يأكلون أموال اليتامى –متجاوزين الحد الذي أحله الله لهم يقول الله :﴿ و من كان غنياً فليستعفف ومن كان فقيراً فليأكل بالمعروف ﴾ [النساء :٦] بعد قوله تعالى: ﴿ ولا تأكلوها إسرافاً وبدارا ﴾فإذا أكل الغني فقد تجاوز الحد – فهو مسرف في فعله هذا إذا أكل الفقير بغير المعروف فقد تجاوز الحد – فهو مسرف أيضاً

قلت : ويدخل في هذا الصنف القائمون على أموال المسلمين . فإنهم بمثابة الأولياء على اليتامى في حفظ الأموال العامة .
لكننا نجد اليوم أن أكثرهم مسرفون – وقد ظهر هذا الإسراف في عصور متقدمة من الدولة الإسلامية –إبتداء من الدولة الأموية ثم الدولة العباسية و هكذا إلى أيامنا هذه ، فإن أموالاً طائلة تُنفق في أمور ساذجة .

يقول محمد رشيد رضا رحمه الله : " فماذا جرى لنا نحن المسلمين بعد هذه الوصايا و الحكم حتى صِرنا أشد الأمم إسرافاً وتبذيراً و إضاعة للأموال و جهلاً بطرق الاقتصاد فيها وتثميرها وإقامة مصالح الأمة بها في هذا الزمن الذي لم يسبق له نظير . في أزمنة التأريخ من حيث توقف مصالح الأمم و مرافقها وعظمة شأنها على المال حتى إن الأمم الجاهلة بطرق الاقتصاد التي ليس في أيديها مال كثير قد صارت مُستذلة و مُستعبدة للأمم الغنية بالبراعة في الكسب و الإحسان في الاقتصاد "[١٣٤]

٥- المسرفون في المعاصي و الشهوات :

قد يقع المسلم في معصية ولكنه يتوب منها ويرجع إلى مولاه وهذا واقع من كثير من المسلمين بل لابد أن يقع فيه المسلم لأنه غير معصوم فعن أنس قال :قال ﷺ " كل بني آدم خطاء و خير الخطاءين التوابون "[١٣٥] ووقوع الذنب من بني آدم أمرٌ مجبلون عليه – وقد خلقهم الله تعالى و أمرهم بالخير ونهاهم عن الشر – لكن ما جُبلوا عليه لابد أن يقع البعض فيه لأن العصمة لا تكون إلا لمن عصمة الله . ولهذا جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ " و الذي نفسي بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقومٍ يُذنبون – فيستغفرون الله فيغفر لهم "[١٣٦] .

إذاً فالذنب – واقع من العبد – فإن تاب وأستغفر – لم يكن مسرفاً . وإن أصر على الذنب و لم يرجع إلى الله –فقد أسرف على نفسه ويُخشى غليه أن يهلك وهو كذلك فيُعذب لإسرافه – وقد نادى الله هذا الصنف من الناس بقوله تعالى ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم ﴾ [الزمر : ٥٣،٥٤] فهذا نداءٌ من الله لكل مسرف أن يرجع عن غيه ومعصيته و يتوب إلى الله ويُنيب إليه قبل أن يُصيبه الله بالعذاب – ويالَه من نداءٍ عظيم لو سمعه العصاة المصرون على معاصيهم ورجعوا إلى الله . فإننا ما زلنا نرى المعاصي قائمة و العصاة مصرين على غيهم و معاصيهم فهذه بنوك الربا منتشرة في كل بلاد المسلمين – بل ليس بينها و بين المساجد إلا أمتارٌ معدودة – وهؤلاء النساءُ المتبرجات الكاسيات العاريات – ما زالت الشوارع و الأسواق تموج بهن، وهذه دُورُ اللهو و اللعب موجودة وأصنافُ أخرى من المعاصي لا تُعد ولا تُحصي – نسأل الله أن يزيلها....

إن القرآن الكريم يقص علينا – خبر قوم من الربانيين – المجاهدين الصابرين يلجأون إلى الله – ويدعونه أن يغفر لهم ذنوبهم وإسرافهم في أمرهم قال تعالى﴿ وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثيرٌ فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله و ما ضعفوا وما أستكانوا والله يحبُ الصابرين ، وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا أغفر لنا ذنوبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا

وأنصرنا على القوم الكافرين، فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسنَ ثواب الآخـــرة ، والله يحـــب المحسنين﴾[آل عمران : ١٤٦ -١٤٨] قالوا ذلك مع كونهم ربانيين هضما لأنفسهم [١٣٧]. لأنهم يعرفون أن الذنوب والإسراف في الأمور من عوامل الخـــذلان ، والطاعـــة والثبـــات والإستقامة من أسباب النصر الفلاح – ومن ثم سألوا ربهم أن يمحوا من نفوسهم أثر الذنوب وأن يوفقهم إلى دوام الثبات حتى لا تزل الأقدام .[١٣٨] بل قد ثبت عن النبي ﷺ أنه كـــان يدعو ربه أن يغفر له ذنبه وإسرافه في أمره [١٣٩] – ﷺ بأبي هو وأمي – إذا كان يفعل هـــو ذلك وقد غُفِر له ما تقدم من ذنبه ومتأخر فأين نحن منه – وما هو واجبنا نحو ربنا – ومـــا هـــو واجـــب المســـرفين مـــن العصـــاة الغـــافلين – نســـأل الله الســـلامةَ – ونعـــوذ به من الخذلان .

المســـرفـــون فـــي القتـــــل :

و الإسراف في القتل منهى عنه – وله عدة صور [١٤٠]:أن يقتل الولي غير قاتل وليـــه ، وأن يقتل بدل وليه اثنين أو أكثر أو أن يمثل بالقاتل. قال الله تعالى ﴿ و من قُتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه سلطاناً يسرف في القتل إنه كان منصوراً ﴾ [الإسراء : ٣٣] فهذا نهى مـــن الله تعالى للولي عندما ينفذ ما أعطاه الشارع من سلطان ، لكن هذا العصر مليء بسفك الدماء بغير حق من أُناس لا يرقبون في مسلم إلاً ولا ذمة.

الخـــاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات و بعد فإن هذا البحث المتواضع الذي حاولت أن أُلقي الضوء فيه على الإسراف و المسرفين وأثر ذلك فى حياة الأفراد والأمم .

قد تبين لي من خلاله عدة نتائج أسجلها هنا للفائدة : –

١- أن الإسراف – تجاوز الحد فى كل شئ وهو فى الإنفاق أشهر.

٢- أن الإسراف فى ضوء القرآن الكريم شمل عدة صور ربما كان البعض من الناس يظن أن الإسراف فقط فى النفقة – ونحوها .

٣- من خلال ما مضى من البحث اتضح لنا أن المسرفين هم أعداء الله و رسله وأن كثر الفساد فى الأرض كان بسبب المسرفين .

٤- أن الإسلام جاء منهجاً واضحاً شاملاً للحياة فلم يقتصر على جانب دون آخر بل بيّن كل الأحكام و من ضمنها موضوع الإسراف .

٥- أن القرآن الكريم عرض علينا قصص الأقوام و الأفراد فى الأمم الماضية و كيف أهلكهم الله بسبب إسرافهم و طغيانهم ليبين لنا أن سُنته هذه ماضيه فى كل من يفعل فعلهم أو يتشبه بهم .

٦- أن من أخلاق المسرفين الكبر و البطر و البغي بغير الحق ، واحتقار الناس – و الإغترار بما عندهم من المال أو الجاه .. وهذه كلها أخلاق ذميمة- لها عاقبة وخيمه يلزم المسلم أن يجتنبها .

٧- ورد ذكر الإسراف و المسرفين فى القرآن الكريم فى ستة وعشرين موضعا ، وجاء فى مواضع كثيرة من القرآن التلميح بصفاتهم و ذكر حالهم وقصصهم واستكبارهم – وحيث أني خشيت التطويل فى هذا البحث المختصر – فقد اكتفيت فقط – بجمع الآيات التي ذكرت الإسراف و المسرفين صراحة مع تفسيرها وعرضها بالإسلوب الموجود داخل البحث – بما فتح الله به علىَ .

٨- وأخيراً فهذا جهد المقل فإن أحسنت وأصبت فمن الله و إن أخطأتُ فمنى ومن الشيطان – وأسال الله أن يتجاوز عنى ، وعن المسلمين والله أعلم..

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً.

الهوامش

(١) ابن منظور لسان العرب (١٤٨/٩).

(٢) الجوهري : الصحاح (١٣٧٢/٤).

(٣) الفيومي – المصباح المنير صـــ٢٧٤.

(٤) الزبيدي – تاج العروس (١٣٨/٦).

(٥) الجرجاني :التعريفات (٢٣ ، ٢٤).

(٦) ابن حجر : الفتح (٤٠٨/١٠).

(٧) ابو البقاد : الكليات (١٧٢/١).

(٨) الشوكاني : فتح القدير (٢٢١/٣).

(٩) للجرجاني : التعريفات (٢٤).

(١٠) للشوكاني : فتح القدير (٢٢١/٣).

(١١) سيد قطب : في ظلال القرآن (٢٣٦٩/٤).

(١٢) سيد قطب : في ظلال القرآن (٣٠٥٨/٥).

(١٣) سيد قطب : في ظلال القرآن (٥/).

(١٤) الشوكاني : فتح القدير (٢٢١/٣).

(١٥) ابن عاشور : التحرير والتنوير (١٢٢/٨).

(١٦) الشوكاني : فتح القدير (٣٨٧/١).

(١٧) الشنقيطي : أضواء البيان (٦٠٩/٤)

(١٨)المراغي : التفسير (١٤٥/١١)

(١٩) الألوسي : روح المعاني ا (٧٢/٢٤)

(٢٠) المراغي : تفسير (٧٦/٢٤)

(٢١) سيد قطب : في ظلال القرآن (٢٣٥٦/٤)

(٢٢) الراغب : مفردات القرآن ص (٥٣١)

(٢٣) القرطبي – أحكام القرآن (٣٠٨/١٥)

(٢٤) سيد قطب : في ظلال القرآن (٣١٧٦/٥)

(٢٥) ابن الجوزي : نزهة الخاطر(٣٦٤) ، الخازن : التفسير (٢٦٠/٢)

(٢٦) صديق خان : فتح البيان (٣٦٥/٣)

(٢٧) ابن كثير : التفسير (٢١٠/٢) بتصرف

(٢٨) سيد قطب : في ظلال القرآن (١٣١٥/٣)

(٢٩) الشوكاني فتح القدير (٢٢٣/٣)

(٣٠) مكي ابن أبي طالب : المشكل (٢٢٧) والطبري : جامع البيان (٥٩/١٥)

(٣١) سيد قطب : في ظلال القرآن (٢٢٢٤/٤)

(٣٢) ابن الجوزي : نزهة الأعين (٣٦٤)

(٣٣) ابن الجوزي : زاد المسير (١٣٧/٣)

(٣٤) سيد قطب : في ظلال القرآن (١٢٨٢/٣)

(٣٥) الجصاص : أحكام القرآن (٢٣٠/٣)

(٣٦) ابن الجوزي : زاد المسير (١٨٧/٣) القرطبي : أحكام القرآن (١٢٥/٧)

(٣٧) رشيد رضا : تفسير المنار (١٨/٧)

(٣٨) ابن الجوزي :نزهة الأعين (٣٦٤)

(٣٩) السيوطي : الدر المنثور (٤٣٥/٢)

(٤٠) ابن العربي : أحكام القرآن (٢٩٨/٢)

(٤١) ابن الجوزي : زاد المسير (١٣٦/٣)

(٤٢) ابن كثير : التفسير (٢٨٢/١٠)

(٤٣) ابن حجر : فتح الباري (٢٨٢/١٠)

(٤٤) الطبري : جامع البيان (٣٩٤/١٢) ، ابن كثير : التفسير (١٨٣/٢)

(٤٥) سنن ابن ماجة (١١٩٢/٢)

(٤٦) مستدرك الحاكم (١٣٥/٤) وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي

(٤٧) سنن النسائي (١٣١/٢)

(٤٨) الإمام أحمد : المسند (١٨٢/٢)

(٤٩) قلت الحديث حسن – راجع تخريج المشكاة (٤٣٨١) ، صحيح الجامع (رقم ٤٣٨١ ايضاً)

(٥٠) الجصاص : أحكام القرآن (٣٣/٣)

(٥١) السيوطي : فتح الباري (٢٥٢/١٠)

(٥٢) القرطبي الجامع في أحكام القرآن (٣٨/١٩)

(٥٣) الشنقيطي : أضواء البيان (٣٥١/٦)

(٥٤) الراغب : مفردات القرآن (١١٧)

(٥٥) سيد قطب : في ظلال القرآن (٢٢٢٣/٤)

(٥٦) ابن كثير : التفسير (١٥٩/٢)

(٥٧) ابن الجوزي : زاد المسير (١٠٢/٦)

(٥٨) الزمخشري : الكشاف (١٠٤/٣)

(٥٩) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن (٤٩/١٨)

(٦٠) المصدر السابق (٤٩/١٣)

(٦١) الشوكاني : فتح القدير (٢٢١/٤)

(٦٢) سيد قطب : في ظلال القرآن (٢٢٢٢/٤)

(٦٣) الخازن : التفسير بحاشية البغوي (١٥٧/٤)

(٦٤) ابن الجوزي : نزهة الأعين (٣٦٤)

(٦٥) الشوكاني : فتح القدير (٣٨٧/١) ، القرطبي : الجامع في أحكام القرآن : (١٤٩/٤) ، ابن الجوزي : زاد المسير (١٩٠/٧)

(٦٦) الزبيدي : تاج العروس (١٣٨/٦)

(٦٧) المراغي : التفسير (٢٢/٢٤)

(٦٨) السيوطي : لدر المنثور (٣٨٧/١)

(٦٩) الشوكاني : فتح القدير (٣٨٧/١)

(٧٠) الإمام مسلم : الصحيح (٢٠٨٦/٤) رقم ٢٧٩١ ، البخاري : أنظر الفتح (١٩٦/١١) [٦٣٩٨ ، ٦٣٩٩]

(٧١) ابن حجر : فتح الباري (١٩٦/١١)

(٧٢) النووي : شرح مسلم (٤٠/٩)

(٧٣) الشنقيطي : أضواء البيان (٦٠٩/٤)

(٧٤) الخازن : التفسير بحاشية البغوي (٢٦٨/٤) ابن الجوزي : زاد المسير (٣٣٢/٥)

(٧٥) الخازن : التفسير (٢٢٢/٤)

(٧٦) ابن الجوزي : زاد المسير (٢٢٢/٧)

(٧٧) الشوكاني : فتح القدير (٣٩٩/٣) أبو السعود : التفسير. (٦٨٩/٣)

(٧٨) المراغي : تفسير (١٠/١٧)

(٧٩) الشنقيطي : أضواء البيان (٦٠٨/٤)

(٨٠) المراغي : تفسير (٧٦/٢٤)

(٨١) راجع الخازن : التفسير بحاشية البغوي (١٧٧/٣)، والقرطبي : الجامع في أحكام القرآن (٢٠٢/٨)، وابن الجوزي : زاد المسير (١٣/٤).

(٨٢) الفخر الرازي : التفسير الكبير (١٥/١٧)

(٨٣) ابن كثير : التفسير (٦٣٤/٢)

(٨٤) الشنقيطي : فتح البيان (٢٠٢/٤) ، والفخر الرازي : التفسير الكبير (١٤٥/١٧)

(٨٥) الراغب : مفردات القرآن الكريم (٢٥٦)

(٨٦) الراغب : مفردات القرآن (٣٢٦)

(٨٧) سيأتي للبحث مزيد من التفصيل في الفصل الثالث إن شاء الله تعالى.

* كانوا يسكنون عدة قرى في وادي الأردن (سيد قطب : في ظلال القرآن ٢٦١٣/٥)

(٨٨) رشيد رضا : تفسير المنار (٥١١/٨)

(٨٩) سيد قطب : في ظلال القرآن (٢٧٣٣/٥)

(٩٠) سيأتي مزيداً من تفصيل هذا الأمر في الفصل الثالث إن شاء الله تعالى.

(٩١) سيد قطب : في ظلال القرآن (٢٦٤٨/٥)

(٩٢)الزمخشري : الكشاف (١٢٣/٣)

(٩٣) سيد قطب :في ظلال القرآن (٢٦٤/٥)

(٩٤) سيد قطب : في ظلال القرآن (٢٦١١/٥)

(٩٥) ابن كثير : التفسير (٨٠/٣)

(٩٦) سيد قطب : في ظلال القرآن (٣١١٨/٥)

(٩٧) راجع بن كثير : التفسير (١٤٣/٤)

(٩٨) الخازن : التفسير بحاشية البغوي (٤٣/٢)

(٩٩) ابن كثير : التفسير (٧٧/٢)

(١٠٠) الألوسي : روح المعاني (١١٨/٦) ، وأبو السعود : التفسير (٤٩/٢)

(١٠١) راجع ابن كثير : التفسير (٩٠٧/٣)

(١٠٢) سيد قطب : في ظلال القرآن (٢٩٦٢/٥)

(١٠٣) ابن كثير : التفسير (٩٠٣/٣)

(١٠٤) سيد قطب : في ظلال القرآن (٢٩٦٢/٥)

(١٠٥) ابن كثير : التفسير (٩٠٤/٣)

(١٠٦) سيد قطب : في ظلال القرآن (٢٩٦٢/٥)

(١٠٧) االزمخشري : لكشاف (٢٨٣/٣) ، أبو السعود : التفسير (٤٩٨/٤)

(١٠٨) ابن الجوزي : زاد المسير (٣٠٣/٧) والقرطبي : الجامع في أحكام القرآن (٦٣/١٦)

(١٠٩) الشوكاني : فتح القدير (٥٤٧/٤)

(١١٠)أبو السعود التفسير (٧٦/٥)

(١١١)ابن كثير : التفسير (١١٦/٤) الألوسي : روح المعاني (٦٤/٢٥) ، الشوكاني : فتح القدير (٤٩٣/٣)

(١١٢) الشوكاني : فتح القدير (٤٩٣/٣)

(١١٣) ابن كثير : التفسير (١٥٣/٤) ط- الحلبي.

(١١٤) الألوسي : روح المعاني (٥/٢٥)

(١١٥) القرطبي : الجامع في أحكام القرآن (٢٦٨/٩٠،١١/١٣) ط – دار الكتب المعربة.

(١١٦) المصدر السابق (٣٥٦/١٥)

(١١٧) الزمخشري : الكشاف (١٠٤/٣)

(١١٨) ابن الجوزي : زاد المسير (١٠٢/٦)

(١١٩) القرطبي : الجامع في أحكام القرآن (٣٨/١٩)

(١٢٠) أضواء البيان (٣١٥/١٦)

(١٢١) الإمام مسلم : الصحيح (١٦٥١٣) ح رقم (٢٠٨٤) – ط محمد فؤاد عبد الباقي.

(١٢٢)النووي : شرح مسلم (٥٩/١٤)

(١٢٣) سنن الترمذي (٦٥١/٤) وقال الألباني صحيح انظر صحيح الجامع (٨٣/٢)

(١٢٤) المباركفوري : تحفة الأحوذي (١٨٥/٧)

(١٢٥) ابن حجر : فتح الباري (٤٠٨/١٠)

(١٢٦) الفخر الرازي : التفسير (٢٠/١٦) بتصرف.

(١٢٧)الإمام مسلم : صحيح (١٦٣٥/٣) ح رقم (٢٠٦٦) ط محمد فؤاد عبد الباقي.

(١٢٨) لنووي : شرح مسلم ا ((٣٢/١٤)

(١٢٩) القرطبي الجامع في أحكام القرآن (١٩١/٧) وما بعدها بتصرف.

(١٣٠)الإمام مسلم : الصحيح (١٠٥٤/٢) ح (١٤٣٢)

(١٣١) وفي بلاد اليمن يسرفون في شراء القات وأكله في الولائم والمناسبات.

(١٣٢) رشيد رضا : تفسير المنار (١٨/٧)

(١٣٣) المصدر السابق (٢٩/٧)

(١٣٤) رشيد رضا : تفسير المنار (٨٣٢/٣)

(١٣٥) أخرجه أحمد (١٩٨/٣) والدرامي (٣٠٣٠/٢) والترمذي (٣٥٠١) وابن ماجة (٤٢٥١) – وإسناده حسن – راجع شرح السنة للبغوي (٩٢/٥).

(١٣٦)الإمام مسلم : الصحيح رقم (٢٧٤٩) كتاب التوبة ، باب سقوط الذنب بالاستغفار.

(١٣٧) الشوكاني : فتح القدير (٣٨٧/١)

(١٣٨)المراغي : تفسير (٩٣/٤).

(١٣٩) الحديث في الصحيحين – البخاري (١٩٦/١١) الفتح – ومسلم (٢٠٨٦/٤) وقد سبق تخريجه.

(١٤٠) الشنضيطي : أضواء البيان (٥٠٠/٣)

فهرس المصادر والمراجع

١] القرآن الكريم.

٢] أحكام القرآن : لأبي بكر أحمد بن علي الرازي ، مصور عن الطبعة الأولى ، الناشر : دار الكتاب العربي ، بيروت.

٣] أحكام القرآن : لأبي بكر العربي المالكي ، الطبعة الأولى ، الناشر : دار الكتب العلمية ، بيروت ٥١٤٠٨ ، تحقيق محمد عبد القادر عطا.

٤] أضواء البيان لإيضاح القرآن بالقرآن : لمحمد الأمين الشنقيطي ، طبعة بن لادن ، المجانية ٥١٣٨٤.

٥] تاج العروس من جوار القاموس : لمحمد بن مرتضى الزبيدي ، منشورات المكتبة العلمية.

٦] التحرير والتنوير في تفسير الكتاب العزيز : للطاهر بن عاشور ، الدار التونسية للطباعة والنشر.

٧] تحفة الأحذوي بشرح جامع الترمذي : لمحمد بن عبد الرحمن المباركفوري ، ضبط وتعليق عبد الرحمن بن عثمان ، الناشر: دار الفكر ، بيروت.

٨] التعريفات:لمحمد بن علي الجرجاني،الطبعة الأولى ٥١٤٠٣ ،الناشر:دار الكتب العلمية، بيروت.

٩] تفسير أبي السعود :محمد بن العماد الحنفي ، طبعة رئاسة البحوث العلمية ، الرياض،٥١٤٠٢

١٠] تفسير الخازن وبحاشيته تفسير البغوي:الطبعة الثانية٥١٣٧٥،الناشر:مطبعة البابي الحلبي، مصر.

١١] تفسير القرآن العظيم : لأبي الفداء الحافظ بن كثير الدمشقي، تخريج وتعليق حسين إبراهيم زهران ، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الأولى ٥١٤٠٦.

١٢] التفسير الكبير : للفخر الرازي، الطبعة الثانية ، منشورات دار الكتب العلمية ، طهران.

١٣] تفسير المراغي : الطبعة الخامسة ، الناشر: مطبعة البابي الحلبي ٥١٣٩٤ ، مصر.

١٤] تفسير مشكل القرآن : لمكي بن أبي طالب ، الطبعة الأولى ، تحقيق هدى الطويل ، الناشر: دار النور الإسلامية ٥١٤٠٨.

١٥] تفسير المنار: لمحمد رشيد رضا ، الطبعة الثالثة ، الناشر: دار المنار ، مصر ٥١٣٦٧.

١٦] جامع البيان في تأويل آي القرآن : لابن جرير الطبري ، الطبعة الثالثة ، المطبعة الأميرية ٥١٣٩٨.
١٧] الجامع لأحكام القرآن : لأبي عبد الله القرطبي، الطبعة الثالثة ، البابي الحلبي ٥١٤٠٨.
١٨] الدر المنثور في التفسير بالمأثور : لجلال الدين السيوطي ، الطبعة الأولى ، الناشر: دار الفكر ، بيروت ٥١٤٠٣.
١٩] روح المعاني : مصورة عن الطبعة المنبرية ، الناشر : دار إحياء التراث العربي ببيروت.
٢٠] زاد المسير في علم التفسير : لأبي الفرج بن الجوزي، الطبعة الرابعة ، الناشر : المكتب الإسلامي ٥١٤٠٧ بيروت.
٢١] سنن ابن ماجة : القزويني ، تحقيق وترقيم : محمد فؤاد عبد الباقي ٥١٣٧٢ ، الناشر : البابي الحلبي دار إحياء التراث.
٢٢] سنن أبي دأود : ترقيم وتعليق محمد محي الدين عبد الحميد ، الناشر : دار الفكر ،بيروت.
٢٣] سنن الترمذي : أبي عيسى ابن سورة الترمذي : تحقيق وتصحيح : عبد الحميد محمد عثمان ، الناشر : دار الفكر ، الطبعة الثالثة ٥١٤٠٣.
٢٤] سنن الدارمي : لأبي محمد عبد الله بن بهران الدارمي، بعناية محمد أحمد دهمان ، نشر دار إحياء السنة النبوية ، ودار الكتب العلمية ، بيروت.
٢٥] سنن النسائي بحاشية السندي ، الناشر : دار الكتب العلمية.
٢٦] السلسلة الصحيحة : لمحمد ناصر الدين الألباني ، الطبعة الثانية ٥١٣٩٩ ، الناشر : المكتب الإسلامي ، بيروت.
٢٧] شرح مسلم : لمحي الدين النووي ، نشر دار الفكر ٥١٤٠١.
٢٨] شرح السنة : لأبي مسعود البغوي : تحقيق ، زهير الشأوش وشعيب الأرنؤوط ، الطبعة الثانية ٥١٤٠٣ ، الناشر: المكتب الإسلامي ، بيروت.
٢٩] صحيح الجامع الصغير : محمد ناصر الدين الألباني ، الطبعة الثانية ٥١٣٩٩ ، الناشر : المكتب الإسلامي ، بيروت.
٣٠] صحيح الإمام مسلم : العشيري النيسابوري ، ترتيب وترقيم وتحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر : دار إحياء التراث العربي.

٣١] الصحاح للجوهري ، طبعة دار العلم ٥١٣٩٩ ، بيروت ، تحقيق : عبد القادر عطار.
٣٢] فتح الباري ، شرح صحيح البخاري : للحافظ ابن حجر العسقلاني ، الطبعة السلفية.
٣٣] فتح البيان في تفسير القرآن : صديق حسن خان، مطبعة العاصمة ، القاهرة ، الناشر : عبد الحي محفوظ ١٩٦٥م.
٣٤] فتح القدير:محمد بن علي الشوكاني، الطبعة الثالثة،الناشر: دار الفكر العربي، بيروت١٩٧٣م.
٣٥] الفوائد : لابن القيم الجوزي ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت.
٣٦] في ظلال القرآن الكريم : سيد قطب ، طبعة دار الشروق ٥١٣٩٤.
٣٧] الكليات : لأبي البقاء أيوب بن موسى ، منشورات وزارة الثقافة ، العراق.
٣٨] الكشاف : لجار الله محمود الزمخشري بحاشية ابن المنير ، الطبعة الأولى ، المكتبة التجارية ، مصر ٥١٣٥٤.
٣٩] لسان العرب : لابن منظور ، دار صادر ، بيروت ١٩٥٦م.
٤٠] المصباح المنير في غريب الشرح الكبير : أحمد بن علي الفيومي، نشر : المكتبة العلمية ، بيروت.
٤١] المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : محمد فؤاد عبد الباقي ، نشر : دار الحديث ، بيروت.
٤٢] مفردات غريب القرآن الكريم : للراغب الأصفهاني ، منشورات : دار الفكر ، بيروت.
٤٣] المستدرك : لأبي عبد الله الحاكم النيسابوري ، مصور عن الطبعة الأولى ، نشر: دار الكتب العلمية،بيروت.
٤٤] المسند : للإمام أحمد بن حنبل، مصور عن الطبعة الميمنية، نشر:دار الكتب العلمية ، بيروت.
٤٥] مشكاة المصابيح : للخطيب القرقيزي ، تحقيق وتخريج : محمد ناصر الدين الألباني ، نشر : المكتب الإسلامي ، بيروت، الطبعة الثالثة ٥١٤٠٥.
٤٦] نزهة الأعين النواظر في الأشباه والنظائر : أبي الفرج بن الجوزي ، الطبعة الأولى ، نشر : مؤسسة الرسالة ، بيروت ٥١٤٠٤، تحقيق : محمد الرضي.